شيعة العراق ونصرتهم لآل البيت
بين الحقيقة والادِّعـاء
من الإمام علي بن أبي طالب إلى الإمام
جعفر الصادق (٣٥ – ١٤٨هـ)

إعـــداد

الدكتور/ سعيد عبد الجواد أبو زيد

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية اللغة العربية بإيتاي البارود

جامعة الأزهر

بحث مستل من العدد الأول المجلد الخامس ٢٠١٦ م

من مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور

ملخص البحث

شيعة العراق ونصرتهم لآل البيت بين الحقيقة والادِّعاء من الإمام علي بن أبي طالب حتى الإمام جعفر الصادق رضي الله عنهم جميعًا

من الأمور التي يبغضها الله لأهل الإسلام: الفرقة، والاختلاف؛ ولكل غيور على دين الله ينفر من الاختلاف ويكرهه، ويسعى إلى دَرْئِه ما استطاع، ومن أصول الإسلام العظيمة: الاعتصام بحبل الله جميعًا، وعدم التفرق، وقد كان المسلمون على ما بعث الله به رسوله من الهدى، ودين الحقِّ الموافق لصحيح المنقول، وصريح المعقول، فلما قتل عثمان –رضي الله عنه وأرضاه– ووقعت الفتنة، واقتتل المسلمون بصفين، مرقت المارقة وهم الخوارج الذين خرجوا على عليٍّ –رضي الله عنه– بعد التحكيم، فقاتلهم عليٌّ يوم النهروان، وكان مروقها لما حكم الحكمان، وتفرَّق الناس على غير اتفاقٍ.

ثم حدث بعد بدعة الخوارج بدع التشيُّع، وتتابع خروج الفِرَق، كما أخبر بذلك المصطفى –صلى الله عليه وسلم– وقد خرج التشيُّع من الكوفة، ثمَّ انتشر بعد ذلك في غيرها، كما خرج الإرجاء أيضًا من الكوفة، وظهر القدر، والاعتزال، والنسك الفاسد من البصرة، وظهر التجهُّم من ناحية خراسان.

وكان ظهور هذه البدع بحسب البعد عن «الدار النبوية»؛ لأن البدعة لا تنمو وتنتشر إلا في ظل الجهل، وغيبة أهل العلم والإيمان.

ولقد حاول الشيعة خداع الناس، وإيهامهم بأنهم موالون لأهل بيت النبي –صلى الله عليه وسلم– وأنهم أقرب الناس إليهم، وأحرص الناس على اتِّباع نهجهم، ونصرتهم في الشدائد، والمحن، والادِّعاء بأنهم أقرب الناس

إلى الصحة والصواب من بين طوائف المسلمين، وأفضلهم، وأهداهم لتمسكهم بأقارب النبي –صلى الله عليه وسلم– وذويه، وأنهم المتمسكون بأقوالهم، والعاملون بهديهم، والسالكون مسلكهم، والمتتبعون آثارهم، وتعاليمهم، هم وحدهم لا غيرهم.

والحقيقة أنهم لا يقصدون من أهل البيت أهل بيت النبوة، وأنهم لا يوالونهم، ولا يحبونهم، بل يريدون ويقصدون من وراء ذلك عليًّا – رضي الله عنه– وأولاده المخصوصين المعدودين.

ولقد وضح للقاصي والداني حقيقة نصرة وتأييد الشيعة لآل البيت بين الادِّعاء، وحقيقة ما كان منهم تاريخيًّا؛ فإنهم لا يهتدون بهديهم، ولا يقتدون برأيهم، ولا ينهجون منهجهم، ولا يسلكون مسلكهم، ولا يتَّبعون أقوالهم، وآراءهم، ولا يطيعونهم في أوامرهم، وتعليماتهم، بل عكس ذلك يعارضونهم ويخالفونهم، مجاهرين معلنين قولًا، وعملًا، ويخالفون آراءهم، وصنيعهم، مخالفة صريحة، وتخلفوا عن نصرتهم في الأوقات التي كانوا في أشدِّ لحظات الاحتياج إلى دعمهم، وتأييدهم، ولم يكن موقفهم المتخاذل هذا مع بعض أئمتهم، ولكن مع الجميع منذ الإمام عليٍّ وحتى الإمام جعفر الصادق رضي الله عنهم جميعًا.

وهذا يُظهر لنا حقيقة هؤلاء القوم، وكذبهم، في نصرتهم لآل البيت، والدفاع عنهم، وبُعدهم وانحرافهم عن منهج الحق.

والحقيقة التي قررها التاريخ وكلام الأئمة من أهل البيت أنهم أشد الناس ذمًّا، ومقتًا، وخذلانًا، وخيانة لأهل البيت، ونسبتهم تلك العقائد الفاسدة إليهم، وكثرة كذبهم عليهم، وقد تعدَّدت عبارات أهل البيت، وتنوَّعت في ذمِّ الشيعة، وبراءتهم من عقيدتهم.

المقدمة

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مكوِّر الليل على النهار، تذكرة وتبصرة لأولي القلوب والأبصار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، إلهًا تقدَّست أسماؤه، وعظمت آلاؤه، والصلاة والسلام على رحمة الله للعالمين، صلى الله عليه، وعلى آله الطيِّبين، وعلى صحابته الذين امتازوا بشرف رؤيته، وفازوا بفضل صحبته، صلاة دائمة متصلة إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فإن من الأمور التي يبغضها الله لأهل الإسلام: الفرقة والاختلاف؛ كما قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وكل غيورٍ على دين الله ينفر من الاختلاف ويكرهه، ويسعى إلى دَرْئِه ما استطاع، ومن أصول الإسلام العظيمة: الاعتصام بحبل الله جميعًا، وعدم التفرق، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وقد كان المسلمون بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على ما بعث الله به رسوله من الهدى ودين الحق الموافق لصحيح المنقول، وصريح المعقول، فلما قتل عثمان -رضي الله عنه وأرضاه- ووقعت الفتنة، واقتتل المسلمون بصفين، مرقت المارقة، وهم الخوارج الذين خرجوا على عليٍّ -رضي الله عنه- بعد التحكيم، فقاتلهم عليٌّ يوم النهروان، وكان مروقها لما حكم الحكمان، وتفرق الناس على غير اتفاقٍ.

ثم حدث بعد بدعة الخوارج بدع التشيع، وتتابع خروج الفرق، كما أخبر بذلك المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وقد خرج التشيع من الكوفة؛

ولذلك جاء في أخبار الشيعة بأنه لم يقبل دعوتهم من أمصار المسلمين إلا الكوفة، ثمَّ انتشر بعد ذلك في غيرها، كما خرج الإرجاء –أيضًا– من الكوفة، وظهر القدر، والاعتزال، والنسك الفاسد من البصرة، وظهر التجهم من ناحية خراسان.

وكان ظهور هذه البدع بحسب البعد عن «الدار النبوية»؛ لأن البدعة لا تنمو وتنتشر إلا في ظلِّ الجهل، وغيبة أهل العلم والإيمان.

وطائفة الشيعة يزداد هجومها على أهل السنة، وتجريحها لرجالهم، وطعنها في مذهبهم، وسعيها لنشر التشيُّع بينهم يومًا بعد يومٍ.

وقد قامت في السنوات الأخيرة الدعوة للتقريب بين مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية، ومخالفيهم من أهل السنة، وقد تبيَّن استحالة ذلك؛ لأن واضعي أسس المذهب الشيعي لم يتركوا في أصولهم وسيلةً لهذا التقريب، بعد أن أقاموه على دعائم منافية لما جاء به النبي –صلى الله عليه وسلم– ودعا إليه أصحابه، وتركهم بعده على محجةٍ واضحةٍ منيرةٍ، لا ينحرف عنها منحرفٌ إلا هلك.

والحقيقة التي يجب أن يعترف بها الداعون للتقريب: أن الشيعة تخالف المسلمين في الأصول، وليس فقط في الفروع، وأن مذهبهم يقوم على الحقد، والكراهية، والكذب، والتكذيب، والطعن في الإسلام، وأهله، والتآمر على أمة التوحيد، ثم بعد ذلك يزعمون –كذبًا وزورًا– بأنهم هم المسلمون!!

ومن الأكاذيب التي دأب الشيعة على خداع الناس بها: إيهام الناس –بما أوتوا من قدرةٍ على الكذب، والتضليل، والتزييف– بحبِّهم لآل البيت، والدفاع عنهم؛ بل إنهم لا يرون غيرهم أحق بحبِّ آل البيت، والدفاع عنهم، وكانت هذه هي بداية التفكير في موضوع هذا البحث، «حب الشيعة لآل البيت ونصرتهم، والدفاع عنهم، بين الحقيقة والادِّعاء»، وحتى أثبت

تلك الحقيقة فقد كان لزامًا على الباحث أن يعتمد في بحثه على كتب المصادر، مثل:

- **كتب الفرق أمثال:**

١- مقالات الإسلاميِّين، واختلاف المصلين للأشعري (ت ٣٢٤هـ).

٢- الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية للبغدادي (ت ٤٢٩هـ).

٣- الفِصَل في المِلَل والأهواء والنِّحَل لابن حزم (ت ٤٥٦هـ).

٤- المِلَل والنِّحَل للشهرستاني (ت ٥٤٨هـ).

- **كتب التاريخ العام، مثل:**

١- تاريخ الطبري (ت ٣١٠هـ).

٢- الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ).

٣- البداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤هـ).

- **بالإضافة إلى كتب التراجم، مثل:**

١- الطبقات الكبرى لابن سعد (ت ٢٣٠هـ).

٢- وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١هـ).

٣- سير أعلام النبلاء للذهبي (ت ٧٤٨هـ).

- **مراجع وكتب للشيعة الإمامية، منها:**

١- الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت ٣٢٩هـ): الأصول من الكافي، صححه وعلَّق عليه: علي أكبر الغفاري- نشر دار الكتب الإسلامية- الطبعة الثالثة- طهران ١٣٨٨هـ.

٢- ابن أبي الحديد: أبو حامد بن هبة الله بن محمد المدائني (ت ٦٥٥هـ): شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٣- المجلسي: محمد باقر محمد تقي بن مقصود (١١١٠هـ): بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، طبعة مؤسسة الوفاء- بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.

- **بالإضافة إلى بعض المراجع العربية التي عنيت بالشيعة عقائديًّا، وتاريخيًّا، مثل:**

١- الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير.

٢- فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة والجماعة لعبد المحسن بن حمد
ابن عبد المحسن.

٣- أصول الشيعة الإمامية لناصر بن عبد الله بن علي القفاري.

٤- لله ثمَّ للتاريخ، كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار، حسين الموسوي من علماء النجف.

وقد قسَّمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد، وخمس مباحث.

أما المقدمة: فقد ذكرت فيها الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع، وأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في تناولي هذا الموضوع.

وأما التمهيد: فتحدثت فيه عن مفهوم الشيعة، وتطورها اللغوي، والتاريخي.

وأما المبحث الأول: فتناولت فيه نشأة الشيعة، وجذورها التاريخية، ومتى ظهر هذا الاسم؟ وعلى من أطلق؟ ثم تعرضت لمعنى آل البيت، ومَنْ أطلق عليهم هذا الاسم؟ ثم كان صلب الموضوع، وهو: «**شيعة العراق ونصرتهم لآل البيت والدفاع عنهم بين الحقيقة والادِّعاء من الإمام علي بن أبي طالب إلى الإمام جعفر الصادق (٣٥- ١٤٨هـ)**».

وتناولت في المبحث الثاني: شيعة العراق، وموقفهم من الإمام علي – رضي الله عنه- ومردود ذلك على الإمام عليّ لما رأى تخاذلهم عنه، وتقاعسهم عن نصرة قضيته.

أما المبحث الثالث: فتحدثت فيه عن موقف شيعة العراق من الإمام الحسن رضي الله عنه.

وأما المبحث الرابع: فتكلمت فيه عن موقف شيعة العراق، واستدعائهم للإمام الحسين -رضي الله عنه- حتى إذا ما وصل إليهم تخلوا عنه؛ ليلقى مصيره هو وأهل بيته، وكيف أنهم ندموا على تفريطهم في ذلك؟ فكانت موقعة عين الوردة، وقيام ثورة ومعركة التوابين؛ ليبرهنوا على ندمهم وتخاذلهم عن نصرة الإمام الحسين، والمطالبة بالثأر لدمه الطاهر، ثم خروجهم مع المختار بن أبي عبيد الثقفي، وما نتج عنها من أمور.

أما المبحث الخامس: فتحدثت فيه عن موقف شيعة العراق من الأئمة: علي بن الحسين «زين العابدين»، ومحمد بن علي بن الحسين المعروف بالباقر، وأخيه زيد بن علي بن الحسين، وجعفر بن محمد بن علي المعروف بالصادق -رضي الله عنهم جميعًا-، وكيف كانت مواقفهم معهم.

وقد آثرت أن أعتمد على الأحداث التاريخية لبعض أئمة الشيعة التي ساقتها المصادر، وحقيقة موقف الشيعة من هذه الأحداث، وقد أوردت ردَّ فعل آل البيت، وما ذكروه عن حقيقة دفاع الشيعة عنهم، وتقديم واجب النصرة، وما ذكر في كتب الشيعة أنفسهم عن ذلك، ثمَّ كانت الخاتمة، وثبت المصادر والمراجع، والفهرس.

التمهيد

مفهوم الشيعة وتطورها اللغوي والتاريخي

الشيعة في اللغة، والاصطلاح، والتاريخ:

في اللغة: شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره، ويقال: شايعه، كما يقال: والاه من الولي، وتشيع الرجل أي: ادَّعى دعوى الشيعة، وتشايع القوم صاروا شيعًا[١]، والشيعة: الأتباع والأنصار، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة[٢]؛ فالشيعة من حيث مدلولها اللغوي تعني: القوم، والصحب، والأتباع، والأعوان.

أما في الاصطلاح: فقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليًّا وأهل بيته –رضي الله عنهم–، حتى صار اسمًا خالصًا لهم.

قال أبو الحسن الأشعري: «وإنَّما قيل لهم الشيعة؛ لأنهم شايعوا عليًّا –رضوان الله عليه– ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم»[٣].

وقال ابن الأثير: «وأصلُ الشِّيعَةِ الفِرْقةُ مِنَ النَّاس،... وَقَدْ غَلَب هَذَا الاسْم عَلَى كُلّ مَنْ يَزْعُم أَنَّهُ يَتولَّى عَلِيًّا –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– وأهلَ بيْته، حَتَّى صارَ لَهُمُ اسْمًا خَاصًّا، فَإِذَا قِيلَ: فلانٌ مِنَ الشِّيعَةِ، عُرف أَنَّهُ مِنْهُمْ، وَفِي مَذْهب الشِّيعَةِ كَذَا: أَيْ عِندَهم»[٤].

---

١ – ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى: ٨/١٨٨.

٢ – الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية: ٢١/٣٠٢.

٣ – الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري: مقالات الإسلاميِّين واختلاف المصلين، عني بتصحيحه: هلموت ريتر – دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة، بيروت: صـ٥.

٤ – ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم

وقال الشهرستاني: «الشيعة: هم الذين شايعوا عليًّا -رضي الله عنه- على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصًّا ووصيةً، إما جليًّا، وإما خفيًّا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده... ويجمعهم القول بوجوب التعيين، والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء، والأئمة، وجوبًا عن الكبائر، والصغائر. والقول بالتولِّي، والتبري قولًا، وفعلًا، وعقدًا، إلا في حال التقية، ويخالفهم بعض الزيدية* في ذلك»[1].

وممَّا سبق يتبيَّن الصلة بين المعنى اللغوي للتشيُّع، والمعنى الاصطلاحيّ؛ حيث إن التشيُّع في اللغة، وفي الاصطلاح يدور على المشايعة، وهي المطاوعة والمناصرة، وكان التشيُّع في بداية أمره قريبًا جدًّا من معناه اللغوي؛ حيث إنه يقال لكل قومٍ ناصروا رجلًا، وكانوا معه: إنهم من شيعته، فيقال: شيعة عليٍّ -رضي الله عنه- وشيعة عثمان -رضي الله عنه- وشيعة معاوية -رضي الله عنه- وهكذا، ولكن هذا الاسم غلب على شيعة عليٍّ -رضي الله عنه-؛ لأنهم أقاموا من أجل هذا التشيُّع الحروب، واعتقدوا اعتقادات باطلة خرجت بالتشيع عن مفهومه الصحيح إلى الرفض.

والحقيقة أن تعريف الشيعة مرتبط أساسًا بأطوار نشأتهم، ومراحل التطور العقدي لهم؛ ذلك أن من الملحوظ أن عقائد الشيعة وأفكارها في تغيُّرٍ

الشيباني الجزري ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م: ٢/٥١٩، ٥٢٠.

* الزيدية: من أشهر فرق الشيعة، وتنسب إلى إمامها زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٨٠- ١٢٢هـ). انظر الحديث عنها صـ٥٩ من هذا البحث.

١ - الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق: أمير علي مهنا، علي حسن قاعور، دار المعرفة- بيروت، ١٤٠٤هـ: ١/١٦٩.

وتطوُّرٍ مستمرٍّ؛ فالتشيُّع في العصر الأول غير التشيُّع فيما بعده؛ ولهذا كان في الصدر الأول لا يسمى شيعيًّا إلا من قدّم عليًّا على عثمان؛ ولذلك قيل: شيعي وعثماني، فالشيعي من قدم عليًّا على عثمان[١]، فعلى هذا يكون التعريف للشيعة في الصدر الأول: أنهم الذين يقدِّمون عليًّا على عثمان فقط. ولهذا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن: الشيعة الأُوَل الذين كانوا على عهد عليٍّ كانوا يفضلون أبا بكر وعمر[٢]، وقد منع شريك بن عبد الله – وهو ممن يوصف بالتشيُّع– إطلاق اسم التشيُّع على من يفضل عليًّا على أبي بكر وعمر؛ وذلك لمخالفته لما تواتر عن عليٍّ في ذلك.

والحقيقة: أن الذين كانوا في وقت خلافة الإمام عليٍّ –رضي الله عنه– من المهاجرين، والأنصار، والذين اتَّبعوهم بإحسانٍ، كلهم عرفوا له حقه، وأحلُّوه من الفضل محلَّه، ولم ينتقصوا أحدًا من إخوانه أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فضلًا عن تكفيره، وسبِّه.

ولكن لم يظل التشيُّع بهذا النقاء، والصفاء، والسلامة، والسمو.. بل إن مبدأ التشيُّع تغير، فأصبحت الشيعة شِيَعًا، وصار التشيُّع قناعًا يتستر به كل من أراد الكيد للإسلام، والمسلمين، من الأعداء الموتورين الحاسدين..؛ ولهذا نسمي الطاعنين على الصحابة الرافضة؛ لأنهم لا يستحقون وصف التشيُّع.

ومن عرف التطور العقدي لطائفة الشيعة لا يستغرب وجود طائفة من أعلام المحدِّثين، وغير المحدِّثين من العلماء الأعلام، أطلق عليهم لقب

---

١ – القفاري: ناصر بن عبد الله علي القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية عرض ونقد، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ: ١/٥٤.

٢ – ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م: ١/٧٠.

الشيعة، وقد يكونون من أعلام السُّنَّة؛ لأن للتشيُّع في زمن السلف مفهومًا، وتعريفًا، غير المفهوم والتعريف المتأخر للشيعة[1].

ولهذا قال الإمام الذهبي في معرِض الحديث عمن رمي ببدعة التشيُّع: «إن البدعة على ضربَيْن: (فبدعة صغرى) كغلوِّ التشيُّع، أو كالتشيُّع بلا غلوٍّ، فهذا كثيرٌ في التابعين، وأتباعهم مع الدين، والورَع، والصدق، فلو ردَّ حديث هؤلاء لذهب جملةٌ من الآثار النبوية، وهذه مفسدةٌ بيِّنةٌ، ثمَّ (بدعة كبرى) كالرفض الكامل، والغلو فيه، والحطِّ من أبي بكر وعمر –رضي الله عنهما– والدعاء إلى ذلك؛ فهذا النوع لا يحتج بهم، ولا كرامة أيضًا، فما أستحضر الآن في هذا الضرب رجلًا صادقًا، ولا مأمونًا، بل الكذب شعارهم، والتقية، والنفاق، دثارهم، فكيف يُقْبَلُ نقل من هذا حاله؟ حاشا وكلا.

فالشيعي الغالي في زمان السلف، وعُرْفِهِم، هو: من تكلَّم في عثمان، والزبير، وطلحة، ومعاوية، وطائفة ممن حارب عليًّا –رضي الله عنه– وتعرَّض لسبِّهم.

والغالي في زمننا، وعُرفنا، هو: الذي يكفِّر هؤلاء السادة، ويتبرأ من الشيخَيْن، فهذا ضال مفتر»[2].

إذن التشيُّع درجاتٌ، وأطوارٌ، ومراحل.. كما أنه فرق، وطوائف.

والملاحظ في الأحداث التاريخية في صدر الإسلام أن لفظ «الشيعة» وردت بمعناها اللغوي الصرف، وهو المناصرة، والمتابعة؛ بل إننا نجد في وثيقة التحكيم بين الخليفة عليٍّ، ومعاوية –رضي الله عنهما– ورود لفظ

١ – ناصر بن عبد الله بن علي القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية: ٦٦/١، ٦٧.

٢ – الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى ٧٤٨هـ): ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ= ١٩٦٣م: ٦/١.

«الشيعة» بهذا المعنى؛ حيث أطلق على أتباع عليٍّ شيعة، كما أطلق على أتباع معاوية شيعة، ولم يختص لفظ الشيعة بأتباع عليٍّ.

ومما جاء في صحيفة التحكيم: «هذا ما تقاضى عليه عليُّ بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما... (ومنها): وأن عليًّا وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس، ورضي معاوية وشيعته بعمرو بن العاص... (ومنها): فإذا توفي أحد الحكمَيْن، فلشيعته وأصحابه أن يختاروا مكانه... (ومنها): وإن مات أحد الأميرَيْن قبل انقضاء الأجل المحدد في هذه القضية، فلشيعته أن يختاروا مكانه رجلًا يرضون عدله»[١].

وقال حكيم بن أفلح –رضي الله عنه–: «... لأني نهيتها –يعني: عائشة رضي الله عنها– أن تقول في هاتين الشيعتين شيئًا...»[٢].

وقد أورد شيخ الإسلام ابن تيمية هذا النصَّ؛ ليأخذ منه دلالة تاريخية على عدم اختصاص عليٍّ باسم الشيعة في ذلك الوقت[٣].

وجاء في التاريخ: أن معاوية قال لبسر بن أرطأة حين وجهه إلى اليمن: «... امضِ حتى تأتيَ صنعاء، فإن لنا بها شيعة»[٤].

فإذن لم يظهر مصطلح «الشيعة» دلالة على أتباع عليٍّ فحسب، حتى ذلك الوقت.

---

١ – الدينوري: أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢هـ): الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: د/ جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م: صـ١٩٤– ١٩٦، الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٣٨٤هـ= ١٩٦٥م: ٥/٥٣، ٥٤.

٢ – هذا جزء من حديثٍ طويلٍ في صحيح مسلم في باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه، أو مرض. الإمام النووي (ت ٦٧٦هـ): شرح صحيح مسلم: ٦/٢٨، المطبعة المصرية.

٣ – ابن تيمية: منهاج السنة النبوية: ٢/٩٥.

٤ – اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر: تاريخ اليعقوبي، طبع بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ= ١٩٨٠م: ٢/١٩٧.

ويبدو أن بدء التجمع الفعلي لمن يدَّعون التشيُّع، وابتداء التميُّز بهذا الاسم بدأ بعد مقتل الحسين، **يقول المسعودي:** «... وفي سنة خمس وستين تحركت الشيعة في الكوفة»[١]، وتكونت حركة التوابين، ثم حركة المختار (الكيسانية) وبدأت الشيعة تتكون وتضع أصول مذهبها.. وأخذت تتميز بهذا الاسم[٢].

من هنا يتضح أن اسم الشيعة كان لقبًا يطلق على أية مجموعة تلتف حول قائدها، وإن كان بعض الشيعة يحاول أن يتجاهل الحقائق التاريخية، ويدَّعي بأن الشيعة «هم أول من سموا باسم التشيع من هذه الأمة»[٣]، ويتناسى بأن معاوية أطلق أيضًا على أتباعه كلمة «الشيعة»، ولكن الوقائع التاريخية تقول بأن لقب «الشيعة» لم يختص إطلاقه على أتباع عليٍّ إلا بعد مقتل عليٍّ –رضي الله عنه– كما يرى البعض، أو بعد مقتل الحسين كما يرى آخرون[٤].

---

١ – المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة– بيروت ١٤٠٢هـ: ١٠٠/٣.

٢ – القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية: ٣٢/١.

٣ – النوبختي: الحسن بن موسى النوبختي: فرق الشيعة، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٤ه= ١٩٨٤م: صـ١٨.

٤ – المسعودي: مروج الذهب: ١٠١/٣، والقفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية: ٣٢/١.

المبحث الأول

نشأة الشيعة وجذورها التاريخية ومعنى آل البيت

أولًا: **نشأة الشيعة وجذورها التاريخية**:

إن الشيعة بأصولها ومعتقداتها لم تولد فجأة، بل مرَّت بمراحل كثيرةٍ، ونشأت تدريجيًّا، وانقسمت إلى فرقٍ كثيرةٍ.

- **القول الأول:**

إن التشيُّع ظهر بعد وفاة الرسول –صلى الله عليه وسلم–؛ حيث وجد من يرى أن أحقية علي –رضي الله عنه– بالإمامة.

وهذا القول مبني على ما نقله البعض من وجود رأي يقول بأحقية قرابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بالخلافة بعده؛ حيث **يقول ابن خلدون:** «اعلم أن مبدأ هذه الدولة –يعني: دولة الشيعة– أن أهل البيت لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يرون أنهم أحق بالأمر، وأن الخلافة لرجالهم دون مَنْ سواهم»[1].

وهذا الرأي يستند القائلون به إلى الرأي القائل: بأحقية القرابة بالإمامة. ولا شك أنه إذا وجد من يرى أحقية عليٍّ بالإمامة، وأن الإمامة ينبغي أن تكون في القرابة، فقد وجد رأي يقول باستخلاف سعد بن عبادة، وأن الإمامة ينبغي أن تكون في الأنصار، وهذا لا دلالة فيه على ميلاد حزب معيَّن، أو فرقة معيَّنة، وتعدُّد الآراء أمرٌ طبيعي، وهو من مقتضيات نظام الشورى

١ – ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م: ٣/٢١٤.

في الإسلام، فهم في مجلسٍ واحدٍ تعدَّدت آراؤهم «وما انفصلوا حتى اتفقوا، ومثل هذا لا يُعَدُّ نزاعًا»[١].

ولو كان هذا الرأي القائل بأحقية القرابة بالإمامة يمثل البذرة والنواة للتشيُّع؛ لكان له ظهور زمن أبي بكر، وعمر، ولكنه رأيٌ -إن ثبت- فهو كسائر الآراء التي أثيرت في اجتماع السقيفة، ما إن وُجِدَ حتى اختفى بعد أن تمت البيعة.. واجتمعت الكلمة لأبي بكر الصديق -رضي الله عنه- كخليفة للمسلمين.. واتفق الرأي من الجميع. وموقف أمير المؤمنين عليّ -رضي الله عنه- ينفي استمرار مثل هذه الآراء، أو بقائها بين الصحابة، فقد تواتر عنه -رضي الله عنه، من وجوه كثيرة- أنه قال على منبر الكوفة: «خير هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر، ثم عمر»؛ فعن مُحَمَّدِ بْنِ الحَنَفِيَّةِ، قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟» قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ»، قُلْتُ: «ثُمَّ مَنْ؟»، قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ»، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ: عُثْمَانُ، قُلْتُ: «ثُمَّ أَنْتَ؟»، قَالَ: «مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ»[٢].

هذا يقوله لابنه الذي لا يتقيه.. فكيف يرى غيره من الصحابة فيه ما لم يرَهُ في نفسه؟![٣]

- **القول الثاني:**

---

١ - ابن تيمية: منهاج السنة النبوية في نقض الشيعة القدرية: ١/١٢٠.

٢ - ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ): فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مراجعة: عبد العزيز بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، طبع دار الحديث، القاهرة ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٤م: ٣٧/٧، رقم الحديث (٣٦٧١)، والكاندهلوي: محمد بن يوسف: حياة الصحابة، مكتبة الدعوة الإسلامية، القاهرة: ٤٧٥/٣، ٤٧٦.

٣ - ابن تيمية: منهاج السنة النبوية: ٥١٢/٧، والسيوطي: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة، مصر ١٩٧٥م: صـ٢٩٤، والكاندهلوي: حياة الصحابة: ٤٧٥/٣، ٤٧٦.

أنَّ التشيُّع لعليٍّ بدأ بمقتل عثمان –رضي الله عنه– **يقول ابن حزم:** «ثم ولي عثمان، وبقي اثني عشر عامًا، وبموته حصل الاختلاف، وابتدأ أمر الروافض*»(١).

والذي بدأ غرس بذرة التشيُّع هو: عبد الله بن سبأ اليهودي، رأس الطائفة السبئية، وكانت تقول بألوهية عليٍّ، كما تقول برجعته، وتطعن في الصحابة، وأصله من اليمن، وكان يهوديًّا يتظاهر بالإسلام، رحل لنشر فتنته إلى الحجاز، فالبصرة، فالكوفة، ودخل دمشق في أيام عثمان ابن عفان –رضي الله عنه– فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر، وجهر ببدعته.

وقد تكاثر ذكر أخبار فتنته، وشذوذه، وسعيه في التآمر، هو وطائفته في كتب الفرق، والرجال، والتاريخ، وغيرها من مصادر السُّنَّة، والشيعة جميعًا(٢).

---

* الروافض: سموا بذلك لرفضهم خلافة أبي بكر وعمر وعثمان والطعن فيهم، والتبرأ منهم، ومن الصحابة ما عدا عدد قليل منهم، وكان أصل الرفض إنما أحدثه هذا المنافق الزنديق ابن سبأ، وكان قصده إبطال دين الإسلام والقدح في رسول الله صلى الله عليه وسلم.

انظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين: صـ٦٥، والشهرستاني، الملل والنحل: ١٨١/١، وابن تيمية، منهاج السنة: ٦٥١/٤.

١ – ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: الفصل في الملل والأهواء والنحل، مطبعة: محمد علي صبيح، القاهرة ١٣٨٤هـ، بهامشه الملل والنحل للشهرستاني: ١٥٨/١، والطحاوي: الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ت: أحمد علي، طبع دار الحديث بالقاهرة ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٥م: صـ٤١٣، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ= ١٩٨٩م: صـ٣٠٠، ٣٠١.

٢ – الطبري: تاريخ الطبري: ٣٤٠/٤، والبغدادي، الفرق بين الفرق: صـ٢١٣، والشهرستاني، الملل والنحل: ٢٠٤/١، والقفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية: ٦٧/١.

ونبتت نابتةٌ من شيعة العصر الحاضر، تحاول أن تنكر وجوده بجرَّةِ قلمٍ، دون مبرِّرٍ واقعيٍّ، أو دليلٍ قاطعٍ، وقد اتفق القدماء من أهل السُّنة والشيعة على السواء على اعتبار ابن سبأ حقيقة واقعية، وشخصية تاريخية، فكيف ينفى ما أجمع عليه الفريقان؟![1].

- **القول الثالث:**

يقول بأن منشأ التشيُّع كان سنة ٣٧هـ، ومن أشهر القائلين بهذا الرأي صاحب مختصر التحفة الاثني عشرية؛ حيث يقول: «إن ظهور اسم الشيعة كان عام ٣٧هـ»[2].

ويبدو أن هذا القول يربط نشأة التشيُّع بموقعة صفين؛ حيث وقعت سنة ٣٧هـ بين الإمام عليٍّ ومعاوية -رضي الله عنهما- وما صاحبها من أحداثٍ، وما أعقبها من آثارٍ، ولكن هذا الرأي لا يعني بداية الأصول الشيعية؛ كما أن أنصار الإمام علي لا يمكن أن يقال: بأنهم على مذهب الشيعة، أو أصل من أصول الشيعة، وإن كان في أصحاب الإمام عليٍّ، كما في أصحاب معاوية من أعداء الإسلام، الذين تظاهروا بالإسلام؛

---

١ - انظر ما قاله السيد مرتضى العسكري في كتابه: «عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى» أنكر فيه وجود شخصية ابن سبأ، كما أنكر السيد محمد الحسين آل كاشف الغطاء، وقال: خرافة وضعها الأمويون والعباسيون حقدًا على آل البيت، وانظر: أصل الشيعة وأصولها: صـ٤٠، ٤١ نقلا عن حسين الموسوي من علماء النجف: لله ثم للتاريخ كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار، طبع دار ابن الجوزي- القاهرة ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٧م: ص١١، ١٢، ١٣.

٢ - شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي: مختصر التحفة الاثنى عشرية، نقله من الفارسية إلى العربية سنة ١٢٢٧هـ: الشيخ الحافظ غلام محمد بن محيي الدين بن عمر الأسلمي، اختصره وهذبه سنة ١٣٠١هـ: علامة العراق محمود شكري الألوسي، حققه وعلق حواشيه: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية القاهرة، ١٣٧٣هـ: صـ٥، وحسين الموسوي: لله ثم للتاريخ: صـ١٣.

ليكيدوا له بالباطن ما لا ينكر، وقد كان للسبئيِّين أثرٌ في إشعال الفتنة لا يجحد، وهم وجدوا قبل ذلك، كما أننا نلحظ أنه بعد حادثة التحكيم وفي بنود التحكيم أطلق لفظ «الشيعة» على الجانبين بلا تخصيص.

- **القول الرابع:**

بأن التشيُّع ولد إثر مقتل الحسين. **يقول الطبري:** «كَانَ أول مَا ابتدأ بِهِ الشيعة أمرهم سنة إحدى وستين، وَهِيَ السنة الَّتِي قتل فِيهَا الْحُسَيْن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلم يزل القوم فِي جمع آلة الحرب، والاستعداد للقتال، ودعاء الشيعة بعضهم لبعضٍ فِي السر إلى الطلب بدم الْحُسَيْن»[١].

فدم الحسين –رضي الله عنه– يعتبر البذرة الأولى للتشيع كعقيدة[٢].

والحقيقة: أن الشيعة –كفكرٍ وعقيدةٍ– لم تولد فجأة؛ بل إنها أخذت طورًا زمنيًّا، ومرَّت بمراحل.. ولكن طلائع العقيدة الشيعية، وأصل أصولها، ظهرت على يد السبئية باعتراف كتب الشيعة، التي قالت بأن ابن سبأ أول من شهد بالقول بفرض إمامة عليٍّ، وأن عليًّا وصِيُّ محمدٍ، وهذه عقيدة النص على عليٍّ بالإمامة، وهي أساس التشيُّع كما يراه شيوخ الشيعة، وشهدت كتب الشيعة بأن ابن سبأ وجماعته هم أول من أظهر الطعن في أبي بكر، وعمر، وعثمان، أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأرحامه، وخلفائه، وأقرب الناس إليه –رضي الله عنهم– والطعن في الصحابة الآخرين، وهذه عقيدة الشيعة في الصحابة، كما هي مسجلة في كتبهم المعتمدة، كما أن ابن سبأ قال: برجعة عليٍّ، والرجعة من أصول الشيعة، كما أن ابن سبأ قال: بتخصيص عليٍّ وأهل البيت بعلوم سرية خاصة، وهذه المسألة أصبحت من أصول الاعتقاد عند الشيعة.

---

١ – الطبري، تاريخ الطبري: ٥/٥٥٨، والمجلسي، بحار الأنوار: ٤٥/٣٥٦.

٢ – ناصر القفاوي: أصول مذهب الشيعة الإمامية: ١/٧٥، الموسوعة الميسرة: صـــ٣٠٣.

يذكر الكشي في كتابه «أخبار الرجال»: عن أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال: «لعن الله عبد الله بن سبأ، إنه ادَّعى الربوبية في أمير المؤمنين – عليه السلام– وكان والله أمير المؤمنين –عليه السلام– عبدًا لله طائعًا، الويل لمن كذب علينا، وإن قومًا يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا نبرأ إلى الله منهم، نبرأ إلى الله منهم»[1].

والحقيقة: أن ابن سبأ وعصابته قد وجدت إثر مقتل عثمان –رضي الله عنه– في عهد علي –رضي الله عنه– ولم تأخذ مكانها في نفوس فرقة معنية معروفة، بل إن السبئية ما كادت تطل برأسها حتى حاربها علي – رضي الله عنه– فقد أمر بإحراق أولئك الذين ادَّعَوْا فيه الألوهية[2].

وأما السبابة الذين يسبُّون أبا بكر، وعمر؛ فإن عليًّا لما بلغه ذلك طلب ابن السوداء الذي بلغه ذلك عنه، وقيل: إنه أراد قتله، فهرب منه، وأما المفضلة الذين يفضلونه على أبي بكر، وعمر؛ فروي أنه قال: «لا أوتى بأحد يفضِّلني على أبي بكر، وعمر، إلا ضربته حد المفتري»[3].

ولكن ما تلا ذلك من أحداث هيَّأ جوًّا صالحًا لظهور هذه العقائد، وتمثلها في جماعة، وذلك كمعركة صفين، وحادثة التحكيم التي أعقبتها، ومقتل عليٍّ، ومقتل الحسين.. كل هذه الأحداث دفعت القلوب، والعواطف، إلى التشيُّع لآل البيت، فتسلل الفكر الوافد من نافذة التشيُّع لعليٍّ وآل بيته، وصار التشيُّع وسيلةً لكل من أراد هدم الإسلام من: ملحدٍ، ومنافقٍ،

---

١ – انظر: الكشي، أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي: رجال الكشي، قدم له وعلق عليه: أحمد السيد الحسيني، مؤسسة الأعلمي، العراق: صـ٧٠، ٧١.

٢ – البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ت ٤٢٩هـ): الفرق بين الفرق– دار المعرفة، الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م– تحقيق: إبراهيم رمضان– بيروت: صـ٢٨، ٢٩، وابن تيمية: منهاج السنة: ٢١٩/١، والشهرستاني، الملل والنحل: ٢٠٤/١.

٣ – ابن تيمية: منهاج السنة: ٢١٩/١، ٢٢٠.

وطاغوتٍ، ودخلت إلى المسلمين أفكارٌ ومعتقداتٌ أجنبية، اكتست بثوب التشيُّع، وتيسر دخولها تحت غطائه، وبمرور الأيام كانت تتَّسع البدعة، ويتعاظم خطرها، حيث قد وُجِدَ لابن سبأ خلفاء كثيرون.

ولم يكن استعمال لقب «الشيعة» في عهد عليٍّ –رضي الله عنه– إلا بمعنى الموالاة، والنصرة، ولا يعني بحال الإيمان بعقيدة من عقائد الشيعة اليوم.. ولم يكن يختص إطلاق هذا اللقب بعليٍّ –رضي الله عنه– يدل على ذلك: ما جاء في صحيفة التحكيم من إطلاق اسم «الشيعة» على كل من أتباع علي، وأتباع معاوية.

فإذن كانت الأحداث التي جرت على آل البيت (مقتل علي، مقتل الحسين، إلخ) هي من العوامل المؤثرة للاندفاع إلى التشيُّع لآل البيت، وكان التعاطف والتأثر لما حلَّ بالآل هو شعور كل مسلم، ولكن قد استغل هذا الأمر من قِبَلِ الأعداء، الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر، فدخلوا من هذا المنفذ، وأشاعوا الفرقة في صفوف الأمة، وحقَّقوا بالكيد، والحيلة، ما عجزوا عنه بالسلاح، والسِّنان، ودخل أتباع الديانات الأخرى، والمتآمرون، والمتربصون في التشيُّع، وبدأوا يضعون أصولًا مستوحاة من دينهم، ألبسوها ثوب الإسلام[١].

ويمكن إجمال المراحل التي مرَّت بها الشيعة الرافضة، حتى أصبحت فرقة مستقلة متميزة بعقيدتها، واسمها، عن سائر فرق الأمة، ويمكن إبراز ذلك من خلال أربع مراحل رئيسية:

- **المرحلة الأولى:** دعوة عبد الله بن سبأ إلى ما دعا إليه من الأصول، التي انبنت عليها عقيدة الرافضة، كدعوته لعقيدة

---

١ – ناصر القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية عرض ونقد: ٧٨/١.

الرجعة، وإحداثه القول بالوصية لعلي -رضي الله عنه-، والطعن في الخلفاء السابقين لعليٍّ في الخلافة.

وقد ساعد ابن سبأ في ترويج فكره الضال البعيد عن روح الإسلام أمران:

١- اختيار ابن سبأ البيئة المناسبة لدعوته؛ حيث بث دعوته في بلدان: الشام، ومصر، والعراق، بعد أن أكثر التنقل بين هذه الأمصار؛ فنشأت هذه الدعوة في مجتمعات لم تتمكن من فهم الإسلام الفهم الصحيح، وتترسخ أقدامها في العلم الشرعي، والفقه بدين الله تعالى؛ وذلك لقرب عهدها بالإسلام فإن تلك الأمصار إنما فتحت في عهد عمر -رضي الله عنه-، هذا بالإضافة إلى بُعْدها عن مجتمع الصحابة في الحجاز، وعدم التفقه، والتتلمذ، والتربية، على أيديهم.

٢- أن ابن سبأ مع اختياره لدعوته تلك المجتمعات، فإنه زيادة في المكر، والخديعة، أحاط دعوته بستار من التكتم، والسرية، فلم تكن دعوته موجهةً لكلِّ أحدٍ، وإنَّما لمَنْ علم أنهم أهلٌ لقبولها من جهلة الناس، وأصحاب الأغراض الخبيثة، ممن لم يدخلوا في الإسلام إلا كيدًا لأهله، بعد أن قوَّضت جيوش الإسلام عروش ملوكهم، ومزَّقت ممالكهم، وقد قال الطبري عن ابن سبأ: «فبث دعاته، وكاتب من كان استفسده في الأمصار، وكاتبوه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم»، ويقول في سياق وصفهم: «وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون»[١].

- **المرحلة الثانية:** إظهار هذا المعتقد، والتصريح به، وذلك بعد مقتل عثمان -رضي الله عنه- وانشغال الصحابة -رضوان الله عليهم- بإخماد الفتنة التي حصلت بمقتله، فوجد هؤلاء الضُّلال متنفسًا في تلك

١ - الطبري: تاريخ الطبري: ٤/٣٤٠، ٣٤١.

الظروف، وقويت تلك العقائد الفاسدة في نفوسهم، إلا أنه مع كل ذلك بقيت هذه العقائد محصورة في طائفة مخصوصة، ممن أضلهم ابن سبأ، وليست لهم شوكةٌ، ولا كلمةٌ مسموعة عند أحدٍ سوى من ابتلي بمصيبتهم في مقتل عثمان –رضي الله عنه–، وشاركهم في دمه من الخوارج المارقين، ومما يدلُّ على ذلك ما نقله الطبري: «وتكلم ابن السوداء فقال: يا قوم إن عزَّكم في خلطة الناس فصانعوهم»[١]، وهذا القول لا يقوله صاحب شوكةٍ، ومنَعَة. ومع هذا فإنه لا ينكر دور هؤلاء السبئية وقتلة عثمان في إشعال نار الحرب بين الصحابة، بل ذلك مقرر عند أهل التحقيق للفتنة، وأحداثها.

- **المرحلة الثالثة:** اشتداد أمرهم وقوتهم، واجتماعهم تحت قيادة واحدة، وذلك بعد مقتل الحسين – رضي الله عنه – للأخذ بثأر الحسين والانتقام له من أعدائه.

يقول الطبري في حوادث سنة أربع وستين للهجرة: «وفي هذه السنة تحركت الشيعة بالكوفة، وأعدّوا الاجتماع بالنخيلة[٢] سنة خمس وستين للمسير لأهل الشام؛ للطلب بدم الحسين بن عليٍّ، وتكاتبوا في ذلك»[٣].

وكان مبدأ أمرهم ما ذكره الطبري من رواية عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي أنه قال: «لما قتل الحسين بن عليّ، ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة، فدخل الكوفة، تلاقت الشيعة بالتلاوم، والتندم، ورأت أنها قد

---

١ – الطبري: تاريخ الطبري: ٣٤١/٤.

٢ – النخيلة: موضع قرب الكوفة على طريق الشام. الدينوري: الأخبار الطوال: صـــ٢٥٤.

٣ – الطبري، تاريخ الطبري: ٥٥١/٥، ٥٥٢، والمسعودي، مروج الذهب: ١٠١/٣، والذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ): سير اعلام النبلاء، خرج أحاديثه وعلق عليه: محمد أيمن الشبراوي، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م: ٥٠٤/٤.

أخطأت خطأ كبيرًا بدعائهم الحسين إلى النصرة، وتركهم إجابته، وقتله إلى جانبهم لم ينصروه، ورأوا أنه لا يغسل عارهم، والإثم عنهم في مقتله، إلا بقتل من قتله، أو القتل فيه»[1]، وندموا على عدم نصرتهم للحسين، وعدوا هذا ذنبًا تجب التوبة منه، وأطلقوا على أنفسهم اسم التوابين[2]، وفزعوا بالكوفة إلى خمسة نفرٍ من رؤوس الشيعة: إلى سليمان بن صُرَد الخزاعي، وكانت له صحبة مع النبي –صلى الله عليه وسلم–، وإلى المُسَيّب بن نجَبَة الفزاري، وكان من أصحاب علي وخيارهم، وإلى عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، وإلى عبد الله بن وائل التَّيمى، وإلى رفاعة بن شداد البَجَلي. ثم إن هؤلاء النفر الخمسة اجتمعوا في منزل سليمان بن صُرَد، وكانوا من خيار أصحاب علي، ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم، ووجوههم.

وكان هذا الاجتماع عامًّا يشمل كافة الشيعة، وأمروا عليهم سليمان بن صُرد، وقد اجتمع إلى سليمان بن صُرَد نحو من سبعة عشر ألفًا، ثم لم تعجب سليمان قلتهم، فأرسل حكيم بن منقذ فنادى في أهل الكوفة يحثهم على الخروج، وخرج الناس معهم فكانوا قريبًا من عشرين ألفًا[3].

وفي هذه الأثناء قدم المختار بن أبي عبيد الثقفي إلى الكوفة فوجد الشيعة قد التفت على سليمان بن صرد، وعظَّموه تعظيمًا زائدًا، وهم معدون للحرب، فلما استقر المختار عندهم بالكوفة، دعا إلى إمامة المهدي محمد

١ – الطبري، تاريخ الطبري: ٥/٥٥٢، ٥٥٣.

٢ – المسعودي، مروج الذهب: ٣/١٠١، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢/٢٥٧.

٣ – الطبري، تاريخ الطبري: ٥/٥٥٣، وابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م: ٣/٣٤١، وابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ): البداية والنهاية، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ= ١٩٣٣م: ٨/٢٥٤.

بن عليّ بن أبي طالب، وهو محمد بن الحنفية، ولقبه بالمهدي، فاتبعه على ذلك كثيرٌ من الشيعة، وفارقوا سليمان بن صُرد، وصارت الشيعة فرقتين، الجمهور منهم مع سليمان، يريدون الخروج؛ ليأخذوا بثأر الحسين، وفرقة أخرى مع المختار، يريدون الخروج للدعوة إلى إمامة محمد بن الحنفية، وذلك عن غير أمر ابن الحنفية، ورضاه، وإنما يتقوَّلون عليه؛ ليروِّجوا على الناس به، وليتوصَّلوا إلى أغراضهم الفاسدة، فكان هذا بداية اجتماع الشيعة.

ويذكر المؤرخون أن سليمان بن صُرد خرج بمن كان معه من الشيعة إلى الشام، فالتقوا مع أهل الشام عند عين تسمى «عين الوردة»*، واقتتلوا قتالًا عظيمًا لمدة ثلاثة أيام[١].

يقول ابن كثير: «لم يَرَ الشيب والمرد مثله، لا يحجز بينهم إلا أوقات الصلوات إلى الليل»[٢]، ثم انتهى القتال بينهم بقتل سليمان بن صُرد رحمه الله، وكثير من أصحابه، وهزيمتهم، وعودة من بقي من أصحابه إلى الكوفة، وذلك سنة ٦٥هـ.

وأما المختار بن أبي عبيد الثقفي، فلما رجع مَنْ بقِيَ من جيش سليمان إلى الكوفة، فالتقى بهم المختار بن أبي عبيد، وأخبروه بما كان من أمرهم، وما حلَّ بهم، فترحَّم على سليمان، ومن كان قتل معه، فخطب فيهم قائلًا: «وبعد فأنا الأمير المأمون، قاتل الجبارين، والمفسدين، إن شاء الله، فأعدّوا، واستعدوا، وأبشروا»[٣]، وكان خروجه بهم في ربيع الأول سنة ٦٦هـ.

---

* ناحية في الكوفة من أعمال قضاء كربلاء. الدينوري: صـ٢١٦.

١ – اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢/٢٥٧.

٢ – ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/٢٧٤.

٣ – ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/٢٧٥.

يقول ابن كثير: «وقد كان قبل قدومهم أخبر الناس بهلاكهم عن وحيه، الذي كان يأتي إليه من الشيطان، فإنه قد كان يأتي إليه شيطان، فيوحي إليه قريبًا مما كان يوحي شيطان مسيلمة له»[1].

ويقول البغدادي: «وادَّعى نزول الوحي عليه»[2].

ثم إن المختار بعث الأمراء إلى النواحي، والبلدان، والرساتيق، من أرض العراق، وخراسان، وعقد الألوية، والرايات ... ثم شرع المختار يتتبُّع قتلة الحسين من شريفٍ، ووضيعٍ، فيقتله»[3].

وجعل يطالب بدم الحسين –رضي الله عنه– فالتف حوله شيعة العراق، وضم إليه مجموعة كبيرة من القادة والزعماء، منهم: إبراهيم بن الأشتر النخعي، فجعله على قيادة جيشه، وأخذ يعد العدَّة لمحاربة الأمويِّين، فكانت بينه وبينهم موقعة عظيمة قتل فيها ابن زياد، وعدد كثير من قادة الأمويِّين ممن اشتركوا في قتل الحسن، وذلك في معركة الخازر بالقرب من الموصل سنة ٦٧هـــ، فزاد ذلك من التفاف الشيعة حوله، وأخذ تتبع قتله الحسين بقتلهم ونبش قبورهم للثأر بدم الحسين فمالت إليه الشيعة[4].

ولمَّا أرسل المختار برأس عبيد الله بن زياد إلى علي بن الحسين بالمدينة يقول اليعقوبي: «وكان علي بن الحسين لم يُرَ ضاحكًا يومًا قط منذ قتل أبوه إلا في ذلك اليوم»[5]، فقال: «الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من عدوِّي وجزى الله المختار خيرًا».

---

١ – ابن كثير، البداية والنهاية: ٢٧٥/٨.

٢ – البغدادي، الفرق بين الفرق: صـــ٥٣.

٣ – اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢٥٩/٢، والشهرستاني، الملل والنحل: ١٧١/١، وابن كثيـــر، البداية والنهاية: ٢٧٥/٨، ٢٨٦، ٢٨٩.

٤ – المسعودي، مروج الذهب: ٨٢/٣، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٥٠٤/٤.

٥ – اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢٥٩/٢.

وقالت السيدة فاطمة بنت علي رضي الله عنها: «ما تحنأت امرأة منا، ولا امتشطت حتى بعث المختار رأس عبيد الله بن زياد إلينا»[١]، وبذلك ازدادت ثقة الشيعة به، ووقوفهم خلفه.

ولم يكن المختار صادقًا في دعواه، وإنما هداه تفكيره إلى استخدام مأساة الحسين ذريعة للوصول إلى مطالبه وهدفه؛ لذلك استفحل أمره، وعظم شأنه، ولكنه لم ينعم طويلًا، فقد تمكَّن مصعب بن الزبير من القضاء عليه سنة ٦٧هـ.

وبذلك انتهت مزاعمه وادِّعاءاته لحبِّ آل البيت، والثأر لقتلاهم، فقد انكشفت حيله، وتخلَّى عنه الشيعة وأسلموه إلى مصيره المحتوم.

وتعتبر حركة «التوابين» وما نتج عنها من معركة «عين الوردة» ومعركة «الخازر» من المواقف المشهودة لشيعة العراق، والتي تدل دلالة حقيقية على نصرة شيعة العراق لأهل البيت، ولا سيما بعد مقتل الحسين بن علي –رضي الله عنه– وتلاومهم على ذلك، أما ما قبل ذلك من المواقف وما بعده نجد تخاذلًا، وتقاعسًا، وهروبًا، وانفضاضًا عن نصرة آل البيت، وهذا ما سنراه.

- **المرحلة الرابعة:** انشقاق الرافضة عن الزيدية، وباقي فرق الشيعة، وتميُّزها بمسماها، وعقيدتها، وكان ذلك على وجه التحديد في سنة إحدى وعشرين ومائة، عندما خرج زيد بن علي بن الحسين على هشام بن عبد الملك، فأظهر بعض من كان في جيشه من الشيعة الطعن على أبي بكر، وعمر، فمنعهم من ذلك، وأنكر

١ – المجلسي، بحار الأنوار: ٣٨٦/٤٥.

عليهم فرفضوه، فسُمُّوا بالرافضة، وسميت الطائفة الباقية معه بالزيدية[1].

ثانياً: معنى (آل البيت) لغة واصطلاحاً:

القولُ الصحيحُ في المرادِ بآل بيت النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- هم مَن تَحرُم عليهم الصَّدقةُ، وهم أزواجُه، وذريَّتُه، وكلُّ مسلمٍ ومسلمةٍ من نَسْل عبد المطلب، وهم بنُو هاشِم بن عبد مَناف[2].

ويدلُّ على دخول بنِي أعمامه في أهل بيته ما روي عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب أنَّه ذهب هو والفضل بن عباس إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يطلبان منه أن يُولِّيهما على الصَّدقةِ؛ ليُصيبَا مِن المال ما يتزوَّجان به، فقال لهما -صلى الله عليه وسلم-: «إنَّ الصَّدقة لا تنبغي لآل محمد؛ إنَّما هي أوساخُ الناس»، ثمَّ أمر بتزويجهما وإصداقهما من الخمس[3].

---

١ - البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري: أنساب الأشراف- تحقيق: سهيل زكار، ورياض الزركلي- دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ= ١٩٩٦م:٣/٢٤٠، والبغدادي، الفرق بين الفرق: صـ٤٤، والشهرستاني، الملل والنحل: ١/١٨١، وابن كثير، البداية والنهاية: ٩/٣٧١، وإبراهيم بن عامر بن علي الرحيلي: الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٣م: صـ٤٨.

٢ - ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م: ١/٣، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، دار البصيرة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ: صـ٢٨٥.

٣ - النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧١هـ)، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي: ٧/١٧٥، ١٧٦، ورياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، طبع مكتبة شباب الأزهر، علق عليه: رضوان محمد رضوان: صـ١٦٤، ١٦٥.

وقد أَلْحَق بعضُ أهل العلم منهم: الشافعي، وأحمد، بنِي المطلب بن عبد مَناف ببَنِي هاشم في تحريم الصَّدقة عليهم؛ لمشاركتِهم إيَّاهم في إعطائهم من خمس الخُمس؛ وذلك لما روي عن جُبير بن مُطعم، الذي فيه أنَّ إعطاءَ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– لبَنِي هاشم وبنِي المطلب دون إخوانِهم من بنِي عبد شمس، ونوفل؛ لكون بنِي هاشم، وبَنِي المطلب، شيئًا واحدًا[(١)].

فأمَّا دخول أزواجه –رضي الله عنهنَّ– في آلِه –صلى الله عليه وسلم–، فيدلُّ لذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ٣٣ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤ ﴾ [الأحزاب: ٣٣، ٣٤] [(٢)].

فإنَّ هذه الآيةَ تدلُّ على دخولِهنَّ حتمًا؛ لأنَّ سياقَ الآيات قبلها وبعدها خطابٌ لهنَّ، ولا يُنافي ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها، أنَّها قالت: «خرج النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– غداةً، وعليه مِرْطٌ مُرَحَّل من شَعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثمَّ جاء الحُسين فدخل معه، ثم

---

١ – ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ٦٠٩/٨، والنووي، صحيح مسلم بشرح النووي: ١٧٥/٧، ١٧٦، ورياض الصالحين: صـ١٦٤، ١٦٥.

٢ – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم– مكتبة التراث الإسلامي، حلب ١٤٠٠هـ= ١٩٨٠م: ٤٨٣/٣، وابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر، تاريخ دمشق– دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م: ٢٠٩/٤، وشرح العقيدة الطحاوية: صـ٤١٣.

جاءت فاطمةُ فأدخلها، ثمَّ جاء عليٌّ فأدخله، ثمَّ قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾»[١]؛ لأنَّ الآيةَ دالَّةٌ على دخولِهنَّ؛ لكون الخطابِ في الآيات لهنَّ، ودخولُ عليٍّ، وفاطمة، والحسن، والحسين -رضي الله عنهم- في الآيةِ دلَّت عليه السُّنَّةُ في هذا الحديث، وتخصيصُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الأربعة -رضي الله عنهم- في هذا الحديث لا يدلُّ على قَصْرِ أهل بيته عليهم دون القرابات الأخرى، وإنَّما يدلُّ على أنَّهم مِن أخصِّ أقاربه[٢].

وعقيدةُ أهل السُّنَّة والجماعة وسَطٌ بين الإفراطِ، والتَّفريط، والغلُوِّ، والجَفاء، في جميعِ مسائل الاعتقاد، ومِن ذلك: عقيدتهم في آل بيت الرَّسول -صلى الله عليه وسلم-، فإنَّهم يَتولَّونَ كلَّ مسلمٍ ومسلمةٍ من نَسْل عبد المطِّلب، وكذلك زوجات النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم جميعًا-، فيُحبُّون الجميعَ، ويُثنون عليهم، ويُنْزلونَهم منازلَهم التي يَستحقُّونَها بالعدلِ، والإنصافِ، لا بالهوى، والتعسُّف، ويَعرِفون الفضلَ لِمَن جَمع اللهُ له بين شرفِ الإيمانِ، وشرَف النَّسَب، فمَن كان من أهل البيت من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فإنَّهم يُحبُّونَه لإيمانِه، وتقواه، ولصُحبَتِه إيَّاه، ولقرابَتِه منه صلى الله عليه وسلم[٣].

---

١ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٤٨٣/٣، ابن قدامة المقدسي: لمعة الاعتقاد الهادي إلــى سبيل الرشاد، دار الكوثر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ، صـ١٢٦.

٢ - ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٢٠٧/٤، ٣١٨، وعبد المحسن بن حمد بن عبد المحسـن بـن عبد الله بن حمد العباد البدر، فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة والجماعة، دار ابن الأثير، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعــة الأولــى ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م: صـ٨.

٣ - شرح العقيدة الطحاوية: صـ٤١٢، ٤١٣.

ومَن لَم يكن منهم صحابيًّا، فإنَّهم يُحبُّونَه لإيمانِه، وتقواه، ولقربه من رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ويَرَون أنَّ شرَفَ النَّسَب تابعٌ لشرَف الإيمان، ومَن جمع اللهُ له بينهما، فقد جمع له بين الحُسْنَيَيْن، ومَن لَم يُوَفَّق للإيمان، فإنَّ شرَفَ النَّسَب لا يُفيدُه شيئًا، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧]، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال صلى الله عليه وسلم في آخر حديث طويلٍ، عن أبي هريرة –رضي الله عنه–: «ومَن بطَّأ به عملُه، لَم يُسرع به نسبُه»[1].

لعمرُك ما الإنسانُ إلَّا بدينـــــــــه * فلا تترك التقوى اتِّكالًا على النَّســـــــب**

لقد رفع الإسلامُ سلمانَ فارسٍ* وقد وضع الشركُ النَّسِيبَ أبا لهـــب[2]**

وأما الشيعة فأرادوا عكس ذلك، فحصروا أهل بيت النبوة في هؤلاء الأربعة: علي، وفاطمة، ثم الحسن، والحسين، وأخرجوا منهم كل من سواهم، ثم اخترعوا طريقة أخرى، فأخرجوا أولاد علي غير الحسنين –رضي الله عنهم– من أهل البيت، ولا يعدون بقية أولاده من أهل البيت من: محمد بن الحنفية، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، والعباس، وجعفر، وعبد الله، وعبيد الله، ويحيى، ولا أولادهم من الذكور الاثنى عشر، ولا

١ – صحيح مسلم بشرح الإمام النووي: رقم الحديث (٢٦٩٩)، وريـــاض الصـــالحين للإمـــام النووي: صــــ١٢٥.

٢ – عبد المحسن بن حمد، فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة والجماعة: صــــ١٣، ١٤.

من البنات ثماني عشر ابنة، أو تسع عشرة ابنة على اختلاف الروايات، كما أخرجوا فاطمة -رضي الله عنها- ابنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حيث لا يعدون بناتها: زينب، وأم كلثوم، ولا أولادهما من أهل البيت، وهذه نكتةٌ، وطريفةٌ، ومثل هذا الحسن بن علي؛ حيث لا يجعلون أولاده داخلًا في أهل البيت، وكذلك أخرجوا من أهل البيت كلًّا من أولاد الحسين مَنْ لا يهوى هواهم، ولا يسلك مسلكهم، ولا ينهج منهجهم، وهذا أطرف من الأول[1].

ولذلك أفتوا على كثيرين من أولاد الحسين، الأولين منهم بالكذب، والفجور، والفسوق، وحتى الكفر، والارتداد، كما شتموا وكفروا أبناء أعمام الرسول، وعماته، وأولادهم، وحتى أولاد أبي طالب غير علي رضي الله عنه[2].

ثم وفي التعبير الصحيح والصريح أن الشيعة لا يرون أهل البيت إلا نصف شخصية فاطمة، ونصف شخصية عليٍّ، ونصف شخصية الحسن، وبقية الأئمة التسعة عندهم[3].

ولقد حاول الشيعة خداع الناس، وإيهامهم بأنهم موالون لأهل لبيت النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأنهم أقرب الناس إليهم، وأحرص الناس على اتباع نهجهم، ونصرتهم في الشدائد، والمحن، والادِّعاء بأنهم أقرب الناس

---

١ - ابن العربي: القاضي أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ) العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلمن حققه وعلق على حواشيه: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الخامسة ١٣٩٩هـ: صـ٢٤٧، وحسين الموسوي، لله ثم للتاريخ: ١٥، ١٨، ١٩.

٢ - حسين الموسوي، لله ثم للتاريخ: صـ٢٧.

٣ - إحسان إلهي ظهير، الشيعة والسنة، نشر إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، الطبعة الثالث، ١٣٩٤هـ: صـ٢٠.

إلى الصحة والصواب من بين طوائف المسلمين، وأفضلهم، وأهداهم؛ لتمسُّكهم بأقارب النبي –صلى الله عليه وسلم– وذويه، وأنهم المتمسكون بأقوالهم، والعاملون بهَدْيهم، والسالكون مسلكهم، والمتتبعون آثارهم، وتعاليمهم، هم وحدهم لا غيرهم.

والحقيقة أنهم لا يقصدون من أهل البيت أهل بيت النبوة، وأنهم لا يوالونهم، ولا يحبونهم؛ بل يريدون ويقصدون من وراء ذلك عليًّا –رضي الله عنه– وأولاده المخصوصين المعدودين.

ونريد أن نوضِّح في هذه السطور حقيقة نصرة وتأييد الشيعة لآل البيت بين الادِّعاء، وحقيقة ما كان منهم تاريخيًّا؛ فإنهم لا يهتدون بهديهم، ولا يقتدون برأيهم، ولا ينهجون منهجهم، ولا يسلكون مسلكهم، ولا يتبعون أقوالهم، وآراءهم، ولا يطيعونهم في أوامرهم، وتعليماتهم؛ بل عكس ذلك يعارضونهم ويخالفونهم مجاهرين، معلنين قولًا، وعملًا، ويخالفون آراءهم وصنيعهم مخالفة صريحة، وتخلَّفوا عن نصرتهم في الأوقات التي كانوا في أشد لحظات الاحتياج إلى دعمهم، وتأييدهم.

فلنرى الشيعة الزاعمين اتباع أهل البيت، المدَّعين موالاتهم، وحبِّهم، ما كان موقفهم على أرض الواقع، وقت المحن والشدائد، وإذا ادلهمَّت الخطوب.

نصرة الشيعة لآل البيت والدفاع عنهم بين الحقيقة والادِّعاء ومواقفهم من الأئمة رضي اللّه عنهم حتى الإمام جعفر الصادق

إن المحن هي التي تكشف معادن الرجال، ومن السهل على المرء أن يتحدث عن الشجاعة، والنجدة، والفتوة، ونصرة من يحب، ولكن حينما يوضع في موقف التنفيذ، وحينما يفرض عليه أن يقدم دلائل القول بالعمل، حينها تعرف الحقائق؛ فالشيعة أكثر من يزعم حبّ آل البيت، ونصرتهم، والدفاع عنهم، ولا يخلو كتاب من عبارات الحب، والود، وتقديم فروض الولاء والطاعة، والنصرة لآل البيت، بل إنهم لا يرون غيرهم في نصرة آل البيت، ولكن الحقيقة والوقائع التاريخية عكس ذلك تمامًا، والدليل على ما أقول: التاريخ الطويل والحافل بخيانة من يدعي التشيُّع لآل البيت، ولأئمة آل البيت، بدأ من خذلانهم للإمام علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– وتقاعسهم عن القتال معه، ونصرته في المواقف العصيبة، إلى غدرهم بالحسين بن علي –رضي الله عنهما– بعدما أغروه بالمبايعة، والنصرة، ودعوه للإمرة والخلافة، وصولًا إلى بقية أهل البيت حتى الإمام جعفر الصادق ١٤٨هـ، وهذا ما سنتحدث عنه في المباحث الآتية:

المبحث الثاني

شيعة العراق وموقفهم من الإمام علي –رضي الله عنه- ت ٤٠هـ

١- من الناحية التنظيمية، والحربية، والولاء:

لقد كان أكثر شيعة علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– من أهل العراق، وعلى وجه الخصوص أهل الكوفة، والبصرة، وعندما عزم عليٌّ على الخروج بهم إلى أهل الشام بعد القضاء على فتنة الخوارج خذلوه، وكانوا وعدوه بنصرته، والخروج معه، ولكنهم تخاذلوا عنه في أول اختبار لدفاعهم عن آل البيت، وآثروا الدعة، والراحة، وقالوا: «يا أمير المؤمنين، لقد نفدت نبالنا، وكلَّت سيوفنا، ونصلت أسنة رماحنا[١]، فارجع بنا فلنستعد بأحسن عدتنا...»، فأدرك أمير المؤمنين عليٌّ –رضي الله عنه– أن عزائمهم هي التي كلَّت، ووهنت، وليس سيوفهم، فقد بدأوا يتسلَّلون من معسكره عائدين إلى بيوتهم دون علمه، حتى أصبح المعسكر خاليًا، فلما رأى ذلك دخل الكوفة، وانكسر عليه رايه في المسير[٢].

وهكذا تخلَّى الكوفيون عن الإمام علي –رضي الله عنه– في أحرج لحظات المواجهة مع معاوية –رضي الله عنه– فتركوه بكل بساطةٍ، فحنق على أهل الكوفة؛ لخذلانهم له، وحاول استنهاضهم، وحثهم على نصرته، كما أرسل الوفود إلى أطراف بلاد الشام، وأذربيجان، والسواد لحشد المقاتلين، لكن جهوده لم تثمر، فأدرك عندئذٍ واقعه المرير؛ مما دفعه إلى تأجيل

---

١ – نصلت اسنة رماحنا: خرجت من الرماح، وأصبحت رماحنا بلا أسنة.

٢ – الدينوري، الأخبار الطوال: صـ٢١١، وابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، الإمامة والسياسة، تحقيق: طه الزيني، مؤسسة الحلبي- الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ= ١٩٦٧م: ١٢٨/١، ١٢٩، والطبري، تاريخ الطبري: ٨٩/٥، وابن العربي، العواصم من القواصم: صـ١٦٢، وابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١٧٦/٣.

قراره بمهاجمة أهل الشام، واعتكف في عاصمته، وطوى مشاريع القتال بعد أن أدرك أن هؤلاء القوم لا يمكن أن تنتصر بهم قضية، مهما كانت عادلة، ولم يستطع أن يكتم هذا الضيق؛ فقال لهم: «عباد اللَّه، مَا لكم إذا أمرتكم أن تنفروا اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ! أرضيتم بالحياة الدُّنْيَا من الآخرة، وبالذل والهوان من العز خلفًا! أو كلما ندبتكم إِلَى الجهاد، دارت أعينكم كأنكم من الموت فِي سكرة، وكأن قلوبكم مألوسة[١] فأنتم لا تعقلون! وكأن أبصاركم كمه[٢] فأنتم لا تبصرون لِلَّهِ أنتم! مَا أنتم إلا أسود الشرى فِي الدعة، وثعالب رواغة[٣] حين تدعون إِلَى البأس.

مَا أنتم لي بثقة سجيس[٤] الليالي، مَا أنتم بركب يصال بكم، وَلا ذي عز يعتصم إِلَيْهِ لعمر اللَّه، لبئس حشاش[٥] الحرب أنتم! إنكم تكادون، وَلا تكيدون، ويتنقص أطرافكم، وَلا تتحاشون، وَلا ينام عنكم، وَأَنْتُمْ فِي غفلة ساهون، إن أخا الحرب اليقظان ذو عقل، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فإن لي عليكم حقًّا، وإن لكم عليَّ حقًّا، فأما حقكم عليَّ فالنصيحة لكم مَا صحبتكم، وتوفير فيئكم عَلَيْكُمْ، وتعليمكم؛ كيما لا تجهلوا، وتأديبكم كي تعلموا، وأما حقي عَلَيْكُمْ فالوفاء بالبيعة، والنصح لي فِي الغيب، والمشهد، والإجابة حين

١ - أي: مصابة بالألس، وهو الذهول وذهاب العقل.

٢ - كمه جمع أكمه، وهو: الذي ولد بدون عينين، كقوله تعالى: ﴿ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِىٓ ﴾ [المائدة: ١١٠].

٣ - رواغة: خداعة.

٤ - أي: للأبد، الدهر كله.

٥ - حش النار أوقدها، والمحش حديدة يحش بها الناس أي: تحرك، والمعنى: لبئس محركو الحرب. ابن الأثير، الكامل: ١٧٦/٣.

أدعوكم، والطاعة حين آمركم، فإن يرد اللَّه بكم خيرًا انتزعتم عما أكره، وتراجعوا إِلَى مَا أحب، تنالوا مَا تطلبون، وتدركوا مَا تأملون»[١].

والعجيب أن شيعة عليٍّ –رضي الله عنه– من أهل العراق لم يتقاعسوا عن المسير معه لحرب الشام فقط، وإنما جبنوا، وتثاقلوا عن الدفاع عن بلادهم، فقد هاجمت جيوش معاوية عين التمر وغيرها من أطراف العراق، فلم يذعنوا لأمر الإمام عليٍّ –رضي الله عنه– بالنهوض للدفاع عنها، حتى قال لهم أمير المؤمنين عليٌّ: «كم أداريكم كما تدارى البكار العمدة[٢]، والثياب المتداعية![٣] كلما حيصت من جانبٍ، تهتكت من آخر[٤]، أكلما أطل عليكم منسر من مناسر أهل الشام أغلق كل رجل منكم بابه ، وانجحر في بيته انجحار الضب، والضبع الذليل في وجاره؟ أفٍّ لكم![٥]. الذليل والله من نصرتموه، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل. إنكم والله لكثير في الباحات[٦]، قليل تحت الرايات، وإني لعالم بما يصلحكم، ويقيم أودكم[٧]، ولكني والله لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي.

---

١ – الطبري، تاريخ الطبري: ٥/٩٠، ٩١، وابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ١/١٢٩، وابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/١٧٦، ١٧٧.

٢ – البكار: ككتاب جمع بكر الفتى من الإبل، والعمدة بفتح فكسر التي انفضح داخل سنامها من الركوب، وظاهره سليم.

٣ – المتداعية: الخلقة المتخرقة، ومداراتها استعمالها بالرفق التام.

٤ – حيصت: خيطت، وتهتكت تخرقت.

٥ – المنسر: كمجلس ومنبر، القطعة من الجيش تمر أمام الجيش الكثير، وانحجر: دخل الجحر، الجحر، والوجار: جحر الضبع وغيرها.

٦ – الساحات.

٧ – اعوجاجكم.

أضرع الله خدودكم[1]، وأتعس جدودكم![2] لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل، ولا تبطلون الباطل كإبطالكم الحق!»[3].

ولمّا وصل إليه خبر سيطرة شيعة معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما- على اليمن، وتقاعس شيعته عن القيام بواجب نصرته، ومواجهة خصومه، قال عليٌّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- مقرِّعًا الشيعة: «أنبئت بسرًا قد اطلع اليمن، وإني والله قد خشيت أن يدخل هؤلاء القوم عليكم، وما بي أن يكونوا أولى بالحق منكم، ولن تطيعوني في الحق كما يطيعون إمامهم في الباطل ما ظهروا عليكم، ولكن بصلاحهم في أرضهم، وفسادكم في أرضكم، وطواعيتهم إمامهم، وعصيانكم إمامكم، وبأدائهم الأمانة، وخيانتكم، استعملت فلانًا فخان وغدر، واستعملت فلانًا فخان وغدر، واستعملت فلانًا فخان وغدر، واستعملت فلانًا فخان وغدر، وحمل المال إلى معاوية، فو الله لو أني أمنت أحدكم على قدحٍ، لخشيت أن يذهب بعلاقته، اللهم قد كرهتهم وكرهوني، وسئمتهم وسئموني، اللهم فأرحني منهم، وأرحهم مني»[4].

١ - أذل الله وجوهكم.

٢ - وأتعس جدودكم: حط من حظوظكم. والتعس: الانحطاط، والهلاك، والعثار.

٣ - الطبري، تاريخ الطبري: ١٣٤/٥، واليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ١٩٥/٢، وابن أبي الحديد: الحديد: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد عز الدين (ت ٦٥٥هـ): شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه: ١٠٢/٦.

٤ - ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٥٣٥/٢، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٥٣٧/٢، وابن كثير، البداية والنهاية: ٣٢٥/٧، ٣٢٦.

ثمَّ يدعو عليهم بعد أن يئس منهم؛ فيقول: «اللهم إني مللتهم وملوني، وأبغضتهم وأبغضوني»[١].

ويقول: «اللهم أبدلني بهم من هو خير منهم، وأبدلهم بي من هو شر منِّي»[٢].

هذه الكلمات التي خرجت من الإمام عليّ –رضي الله عنه– تقطر الحزن، والأسى، والألم، لهي أكبر دليل على حقيقة حبِّ الشيعة له، والدفاع عنه.

بقي أن نقول: إن الإمام عليًّا لما أدرك حقيقة هؤلاء القوم، وخيانتهم، وخذلانهم، لم يقصر بدوره في بيان حقيقة هؤلاء القوم على الناس، وتنوير الرأي العام، ولم يتوان، ولم يتأخر في إيقافه إياهم موقف المجرمين المتخاذلين، والمتعنتين المعاندين الطاعنين.

فقال رضي الله عنه يومًا لهم: «... أحمد الله على ما قضى من أمرٍ، وقدر من فعلٍ، وعلى ابتلائي بكم أيتها الفرقة التي إذا أمرت لم تطع، وإذا دعوت لم تجب. إن أمهلتم خضتم ، وإن حوربتم خرتم، وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم، وإن أجئتم إلى مشاقة نكصتم. فو الله لئن جاء الموت – وليأتيني– ليفرقن بيني وبينكم، وأنا لصحبتكم قال، وبكم غير كثير. لله أنتم! لا دين يجمعكم، ولا حمية تحميكم إذا أنتم سمعتم بعدوكم يرد بلادكم، ويشن الغارة عليكم! أو ليس عجبًا أن معاوية يدعو الجفاة الطغام[٣]، فيتبعونه على غير معونة، ولا عطاء ، وأنا أدعوكم –وأنتم تريكة الإسلام

١ – الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٢/٥٣٧.

٢ – الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٢/٥١٤.

٣ – الطغام: سفلة الناس.

وبقية الناس- إلى المعونة، أو طائفة من العطاء، فتقومون عني وتعصونني، وتختلفون علي!»[1].

وقال مرة أخرى مخاطبًا إياهم: «أفٍّ لكم! لقد سئمت عتابكم، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضًا، وبالذلِّ من العزِّ خَلَفًا! إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم، كأنكم من الموت في غمرة ، ومن الذهول في سكرة... وما أنتم بركنٍ يمال بكم، ولا زوافر عزٍّ يفتقر إليكم... تكادون ولا تكيدون ، وتنتقص أطرافكم فلا تمتعضون[2]، لا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون، غلب والله المتخاذلون! والله لكأني أنظر إليكم وقد حمي الوطيس، واستحرَّ الموت، قد انفرجتم عن أبي طالب انفراج المرأة عن قبلها»[3].

ويقول لهم: «وإني لأقدم علَى الأمر، وأعرف وجه الحزم، وأقوم فيكم بالرأي المصيب، فأستصرخكم معلنًا، وأناديكم نداء المستغيث معربًا، فلا تسمعون لي قولًا، وَلا تطيعون لي أمرًا، حَتَّى تصير بي الأمور إِلَى عواقب المساءة، فأنتم القوم لا يدرك بكم الثأر، وَلا تنقض بكم الأوتار»[4].

ومرةً أخرى يبيِّن للناس ما هم فيه من الجبن، والمخاذلة، والفساد، والباطل؛ فيقول: «وقد ترون عهود الله منقوضةً فلا تغضبون! وأنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون! وكانت أمور الله عليكم ترد، وعنكم تصدر، وإليكم ترجع، فمكنتم الظلمة من منزلتكم، وألقيتم إليهم أزمتكم، وأسلمتم أمور الله

---

١ - الطبري، تاريخ الطبري: ١٠٧/٥، والبلاذري: ٢٤١/٣.

٢ - الامتعاض: هو الغضب.

٣ - ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ١٣٠/١، وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٨٩/٢.

٤ - الطبري، تاريخ الطبري: ١٠٨/٥، وابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١٨١/٣.

في أيديهم، يعملون بالشبهات، ويسيرون في الشهوات. وأيم الله، لو فرقوكم تحت كل كوكب، لجمعكم الله لشرّ يوم لهم!»[١].

ويشتكي عليٌّ –رضي الله عنه– من شيعته؛ فيقول: « ولقد أصبحتِ الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحتُ أخاف ظلم رعيتي. استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سرًّا، وجهرًا، فلم تستجيبوا، ونصحت لكم، فلم تقبلوا. أشهود كغياب، وعبيد كأرباب، أتلو عليكم الحِكَمَ، فتنفرون منها، وأعظكم بالموعظة البالغة، فتتفرقون عنها، وأحثكم على جهاد أهل البغي، فما آتى على آخر القول، حتى أراكم متفرقين عنِّي أيادي سبأ...»[٢].

وفي موطن آخر يبيِّن لهم مدى الخزي، والعار، والجبن الذي أصبحوا فيه، والحالة السيئة من العصيان لأمره؛ فيقول: «أيها القوم الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم، صاحبكم يطيع الله، وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصى الله، وهم يطيعونه! لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ منى عشرة منكم، وأعطاني رجلًا منهم! يا أهل الكوفة، منيت منكم بثلاث واثنتين: صم ذوو أسماع، وبكم ذوو كلام، وعمى ذوو أبصار، لا أحرار صدق عند اللقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء، تربت أيديكم يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها! كلما جمعت من جانبٍ، تفرّقت من آخر»[٣].

---

١ – ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٥٨/٧.

٢ – ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ١٣٠/١، وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٣٠٤/٧، وهي جملة يضرب بها المثل في الفرقة. لسان العرب (سبأ): ٩٩/١، «تفرقوا أيدي سبأ» أي: تفرقوا تفرقًا لا اجتماع بعده، «أيادي سبأ» أي: متفرقين فشبهوا بأهل سبأ لما مزقهم الله في الأرض كل ممزَّقٍ، فأخذ كل طائفة منهم طريقًا على حدة.

٣ – ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ١٣٠/١، وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٧١/٧، وابن

بل إن الشيعة جمعوا لهم فوق صفات الجبن، والخذلان، والخيانة، الكذب، وسوء معاملة آل البيت، والتشنيع بهم؛ فلقد روي عن أمير المؤمنين عليٍّ -رضي الله عنه- أنه قال: «أما بعد: يا أهل العراق، فإنما أنتم كالمرأة الحامل، حملت فلما أتمَّت أملصت، ومات قيمها، وطال تأيمها، وورثها أبعدها، أما والله ما أتيتكم اختيارًا، ولكن جئت إليكم سوقًا، ولقد بلغني أنكم تقولون : عليٌّ يكذب، قاتلكم اللهُ تعالى! فعلى مَنْ أكذب؟»[1].

وقال أيضًا رضي الله عنه: «قاتلكم الله! لقد ملأتم قلبي قيحًا، وشحنتم صدري غيظًا، وجرعتموني نغب التهمام أنفاسًا، وأفسدتم عليَّ رأيي بالعصيان، والخذلان[2]، حتى قالت قريش إن ابْن أَبِي طالب رجلٌ شجاعٌ، ولكنه لا علم لَهُ بالحرب، ولكنه لا رأي لمن لا يُطاع»[3].

هذا هو كلام الإمام عليّ -رضي الله عنه- الذي يشهد بمكر، وخديعة، وخذلان الشيعة له، وعدم نصرتهم له، وهذا موقف مَنْ يدَّعون حبه آل البيت، وموالاتهم، ونصرتهم، والدفاع عنهم، وهم في الحقيقة خارجون عن سنة رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وعن منهج أهل البيت -عليهم السلام- وأكثرهم خيانة لهم، ومفارقة لأمرهم.

الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/١٨٩.

١ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٦/١٢٧.

٢ - البلاذري: جمل من أنساب الأشراف: ٢/٤٤٣، والدينوي، الأخبار الطوال: صـــ٢١٢.

٣ - الدينوري، الأخبار الطوال: صـــ٢١٢.

المبحث الثالث

شيعة العراق وموقفهم من الحسن بن عليٍّ –رضي الله عنهما- (ت ٥٠هـ)

١- من الناحية التنظيمية، والحربية، والولاء:

اجتمع شيعة عليٍّ –رضي الله عنه– بعد استشهاده على يد عبد الرحمن بن ملجم الخارجي حول ابنه الحسن –رضي الله عنه– وجعلوه إمامًا لهم، وأول من بايعه كان قيس بن سعد ابن عبادة[١].

وكان الحسن –رضي الله عنه– قد وضع شرطًا أساسيًّا لقبوله مبايعة أهل العراق له، ذلك الشرط الذي نص على أنهم يسالمون من يسالم، ويحاربون من يحارب[٢].

ويستفاد من ذلك ابتداء الحسن –رضي الله عنه– في تبييته لنية الصلح قبل استخلافه، وأدخل الحسن –رضي الله عنه– بشرطه في عقلية العراقيِّين بأن خيار السلم قابل للنقاش، والأخذ، والعطاء، كما أنه –رضي الله عنه– تقدَّم للخلافة لما كانت مصلحة الإسلام والمسلمين في ذلك، كما أنه لم يكن يغيب عنه تخاذل الشيعة ونكوصهم عن نصرة أبيه علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– وتفرقهم عنه.

وعلى ما يبدوا أن الشيعة قد ارتابوا في نية الحسن قبل أن يعلنها جهارًا نهارًا، فعدوا عليه، وأرادوا اغتياله، فبعد أن أخذ البيعة، وبينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجرٍ، فوقعت الطعنة في وركه، فمرض منها

---

١ – الطبري، تاريخ الطبري: ١٥٨/٥، وابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٠٢/٣، وابن كثير، البداية والنهاية: ١٧/٨، وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب– دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ: ٥٢/١.

٢ – الطبري، تاريخ الطبري: ١٦٢/٥، وابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ١٤١/١، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣٤٠/٤، والمجلسي، بحار الأنوار: ١٥/٤٤،.

أشهرًا، ثم برأ، فقعد على المنبر، فقال: «يا أهل العراق، اتقوا الله فينا، فإنا أمراؤكم، وضيفانكم، أهل البيت الذين قال الله عنهم: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝٣٣ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] قال: فما زال يقول ذلك حتى ما رئي أحدٌ من أهل المسجد إلا وهو يخن[١] بكاء»[٢].

ثمَّ خرج الحسن –رضي الله عنه– بجيش العراق من الكوفة إلى المدائن، وأرسل القوة الضاربة من الجيش وهي شرطة الخميس بقيادة «قيس بن سعد بن عبادة»[٣]، بعد إلحاح من شيعة العراق الذين قالوا له: سر إلى هؤلاء القوم الذين عصوا الله، ورسوله، ارتكبوا العظيم، وابتزوا[٤] الناس أمورهم، فإنا نرجوا أن يمكن بك منهم، فسار الحسن إلى أهل الشام، وجعل على مقدمته «قيس بن سعد بن عبادة» في اثني عشر ألفًا، وكانوا يسمون شرطة الخميس[٥].

يتضح لنا أن أهل العراق هم الذين دفعوا الحسن –رضي الله عنه– إلى الخروج لقتال أهل الشام من غير رغبة منه، وهذا الأمر قد أشار إليه ابن

---

١ – الخنين: البكاء في الأنف.

٢ – ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي المعروف بابن سعد، الطبقات الكبرى، (الجزء المتمم لطبقات ابن سعد، الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أحداث الأسنان)، تحقيق: محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق– الطائف، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ= ١٩٩٣م: ٣٢٣/١، والطبري، تاريخ الطبري: ١٦٥/٥، والمسعودي، مروج الذهب: ٨/٣، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ٢٢٥/٤، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣٤١/٤.

٣ – ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٣٢١/١، والدينوري، الأخبار الطوال: صـ٢١٦.

٤ – الابتزاز: أخذ الشيء بجفاءٍ وقهرٍ.

٥ – ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٣١٩/١، ٣٢١، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣٣٨/٤.

كثير –رحمه الله– بقوله: «وَلَمْ يَكُنْ فِي نِيَّةِ الْحَسَنِ أَنْ يُقَاتِلَ أَحَدًا، وَلَكِنْ غَلَبُوهُ عَلَى رَأْيِهِ، فَاجْتَمَعُوا اجْتِمَاعًا عَظِيمًا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ»[١].

وهنا نتساءل: لماذا تخاذل أهل الكوفة عن إجابة دعوة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– للقتال، وتحمسهم هنا للقتال مع ابنه الحسن رضي الله عنه.

ربما فعلوا ذلك؛ لأنهم شعروا بالندم بعد مقتل الإمام علي –رضي الله عنه– وتمكن معاوية –رضي الله عنه– من الأمر، وأحسُّوا أنهم فرطوا في حق الإمام علي، فأرادوا أن يعوضوا ذلك بالتحمس بالوقوف بجانب الحسن والقتال معه أسفًا وندمًا؛ لما بدر منهم من تقاعسهم وتخاذلهم.

ولكن من يتدبر مواقف شيعة العراق مع أهل البيت يرى أن هذا هو حالهم يندفعون ويأخذهم الحماس والحمية في بداية الأمر، فإذا جدَّ الجدُّ ظهرت حقيقتهم في القتال، يفرون ويتركون قادتهم يلقون مصيرهم وحدهم، وهذا معهود عليهم في كل مواقفهم مع الإمام عليٍّ وبنيه من بعده، حتى مع زعمائهم السياسيِّين كأمثال: سليمان بن صُرد، والمختار بن أبي عبيد.

لذلك أَمَرَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ عَلَى الْمُقَدِّمَةِ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَسَارَ هُوَ بِالْجُيُوشِ فِي أثره قَاصِدًا بِلَادَ الشَّامِ، فَلَمَّا اجْتَازَ بِالْمَدَائِنِ نَزَلَهَا، وَقَدَّمَ الْمُقَدِّمَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

وقد أشهر الحسن حنكة كبيرة دلت على سعة أفقه، ودهائه، وبصيرته، عندما لم يشأ أن يواجه أهل العراق من البداية بميله إلى مصالحة معاوية، وتسليمه الأمر؛ لأنه يعرف خفتهم، وتهورهم، فأراد أن يقيم من مسلكهم الدليل على صدق نظرته فيهم، وبينما الحسن في المدائن إذ نادى منادٍ من أهل العراق: «إن قيسًا قد قُتِل»، فسرت الفوضى في الجيش، وعادت إلى أهل العراق طبيعتهم في عدم الثبات، فاعتدوا على سرادق الحسن، ونهبوا

---

١ – ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/١٦، ١٧.

متاعه حتى أنهم نازعوه بساطًا كان تحته، وطعنوه، وجرحوه[1]، وهنا فكَّر أحد شيعة العراق، وهو المختار بن أبي عبيد الثقفي في أمرٍ خطيرٍ، وهو أن يوثق الحسن بن عليٍّ، ويسلمه طمعًا في الغنى والشرف، فقد جاء عمه سعد بن مسعود الثقفي، وكان واليا على المدائن من قِبَل عليٍّ، فقال له: هَلْ لَكَ فِي الْغِنَى وَالشَّرَفِ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: تُوثِقُ الْحَسَنَ، وَتَسْتَأْمِنُ بِهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهُ عمه: عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ، أَثِبُ عَلَى ابْنِ بنت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فَأُوثِقُهُ! بِئْسَ الرَّجُلُ أَنْتَ![2].

أرأيت سوء صنيع القوم؟ وكيف كان غدرهم وخيانتهم حتى بآل البيت الذين زعموا حبهم، واتخذوه ذريعةً في عدائهم لكل من عادوا؟ وهل بعد خيانتهم لآل البيت يستبعد خيانتهم للأمة عامة؛ فهم منذ اللحظات الأولى يجبنون عن الحرب، ويبيعون ذممهم بالأموال، ويفكرون في الخيانة في مقابل الغنى والشرف، ولو كان الثمن هو تسليم واحد من أكابر آل البيت، كما فكر المختار الثقفي أن يسلم الحسن بن عليٍّ للأمويِّين.

علمًا بأننا –للإنصاف– لا بدَّ أن نقرِّر أن شيعة الصدر الأول في أيام عليٍّ، والحسن، والحسين –رضوان الله عليهم– كان من بينهم فضلاء أخيار، كبعض نفر من الصحابة –رضوان الله عليهم– وهؤلاء نربأ بهم عن الخيانة، ومعاذ الله أن نصف أحدًا منهم بها، وإنما مواقف هؤلاء الفضلاء كانت قائمة على الاجتهاد، أخطأوا أو أصابوا.

وتشيّع أكثر الناس يومئذٍ يدور في فلك الحب لعليٍّ –رضي الله عنه– وآل بيته، بناء على مرويات سمعها الناس في الوصاة بحبِّ هذه العترة

---

١ – الدينوري، الأخبار الطوال: صـــ٢١٧، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ٢٢٣/٤، والـــذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣٣٨/٤، وابن خلدون: ١٣٧/٢.

٢ – البلاذري، أنساب الأشراف: ٣٦/٣، والطبري، تاريخ الطبـــري: ١٥٩/٥، وابـــن كثيـــر، البداية والنهاية: ١٧/٨.

الطاهرة[١]، كقوله صلى الله عليه وسلم: «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ثلاثًا»[٢]، وأخرج البخاري عن أبي بكر أنه قال: «ارْقُبُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ»[٣].

ولكن لم تكن هناك مبادئ مقررة للتشيُّع كالتقية، والرجعة، وغير ذلك، اللهم إلا أن يكون عند نفرٍ من الغلاة الذين ترأسهم عبد الله بن سبأ، وقالوا بألوهية علي –رضي الله عنه– لكن بعد ذلك جدَّت أمور شكلت فكر الشيعة، وجعلت تقفز به في الانحراف من ميدانٍ إلى ميدانٍ، وتدخلت عناصر مغرضة مجوسية، ويهودية، وغير ذلك، وتسترت بالإسلام ثم بالتشيُّع، وجعلت تسعى لنقض عرى الإسلام عروةً بعد عروةً[٤].

وحاصل الأمر أن الحسن –رضي الله عنه– لما رأى صنع أصحابه أيقن أنه لا فائدة منهم، ولا نصر يرجى على أيديهم؛ لذلك لما جاءوا إليه يقولون: «أنت خليفة أبيك، ووصيُّه، ونحن السامعون المطيعون لك، فمرنا بأمرك»، فقال عليه السلام: «كذبتم، والله ما وفيتم لمن كان خيرًا منِّي، فكيف تفون لي؟ وكيف أطمئن إليكم؟ لا أثق بكم»[٥].

وهذه كانت قناعته من البداية، فدفعه ذلك إلى قطع خطواتٍ أوسع، والاقتراب أكثر من الصلح، لا سيما وقد كانت هناك أحاديث مروية عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– تؤكِّد ذلك، منها: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ

---

١ – ابن العربي، العواصم من القواصم: صـ١٧٠، وشرح العقيدة الطحاوية: صـ٤١٢.

٢ – أخرجه مسلم في فضائل الصحابة رقم (٢٤٠٨)، الإمام النووي: رياض الصالحين من كلام سيِّد المرسلين: صـ١٦٥.

٣ – فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ١١٢/٧، رقم (٣٧٥١) في فضائل الصحابة، الإمام النووي: رياض الصالحين: صـ١٦٥.

٤ – عماد علي عبد السميع حسين، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية: صـ١٩.

٥ – الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣٣٨/٤، والمجلسي، بحار الأنوار: ٤٣/٤٤.

اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ»[1]، فحسن له خلعه لنفسه وإصلاحه[2]، وهنا تم تبادل الرسل بين الحسن ومعاوية، ووقع الصلح بينهما رضوان الله عليهما[3].

١ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ١١٥/٧، رقم (٣٧٤٦)، والذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣٣٠/٤، وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: ٥٢/١.

٢ - المسعودي: مروج الذهب: ٨/٣، وابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل: ١٦٣/١، وابن كثير: البداية والنهاية: ٣٩/٨.

٣ - الدينوري، الأخبار الطوال: صـ٢١٨، وابن عساكر، أنساب الأشراف: ٢٢٤/٤، وابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس- دار صادر، بيروت: ٦٥/٢، ٦٦.

٢- من ناحية الاحترام والتقدير:

وبعد نجاح الصلح بين الحسن ومعاوية –رضي الله عنهما– شرع الحسن –رضي الله عنه– في تهيئة أتباعه على تقبُّل الصلح الذي تمَّ، فقام فيهم خطيبًا؛ ليبيِّن لهم ما تمَّ بينه وبين معاوية، وبينما هو يخطب هجم عليه بعض عسكره محاولين قتله، لكن الله –سبحانه وتعالى– أنجاه كما أنجاه من قبل.

ثم يدخل عليه أحد أتباعه وهو سفيان بن أبي ليلى، فيقول له: «السلام عليك يا مذل المؤمنين»، قال: «وعليك السلام، اجلس، لستُ مذل المؤمنين، ولكنى معزهم، ما أردت بمصالحتي معاوية إلا أن أدفع عنكم القتل عندما رأيت من تباطؤ أصحابي عن الحرب، ونكولهم عن القتال، ووالله لئن سرنا إليه بالجبال، والشجر، ما كان بدٌّ من إفضاء هذا الأمر إليه»[١].

وقد أورد البلاذري خطبة الحسن التي ألقاها في أتباعه، ومحاولة قتله –رضي الله عنه–؛ فقال: «... إني ارجو أن أكون أنصح خلقه لخلقه، وما أنا محتمل على أحد ضغينة، ولا حقدًا، ولا مريدًا به غائلة، ولا سوءًا، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خيرٌ لكم مما تحبون في الفرقة، ألا وإني ناظر لكم خيرًا من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردوا عليَّ، غفر الله لي ولكم، وقال: يا أهل العراق، لو لم تذهل نفسي[٢] عنكم إلا لثلاث خصالٍ لذهلت: مقتلكم أبي، ومطعنكم بغلتي، وانتهابكم ثقلي، أو

١ – الدينوري، الأخبار الطوال: صـ٢٢١، والبلاذري، أنساب الأشراف: ٤٥/٣، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ٢٢٨/٤.

٢ – تذهل نفسي: تسلو نفسي. ابن منظور، لسان العرب: ٢٥٩/١١.

قال: ردائي عن عاتقي، وإنكم قد بايعتموني أن تسالموا من سالمت، وتحاربوا من حاربت، وإني قد بايعت معاوية، فاسمعوا له وأطيعوا»[1].

وهذا يوضِّح لنا أن من الأسباب التي دعت أمير المؤمنين الحسن بن عليٍّ إلى الصلح: موقف أهل العراق من محاولة اغتياله مرتين وانتهابه؛ فقد روى اليعقوبي في تاريخه عن أهل الكوفة، وما صنعوه بالحسن «أنهم: شدوا على فسطاطه، وانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته فبقى جالسًا متقلدًا السيف بغير رداء»[2].

أيبقى الحسن بغير رداء مكشوف العورة أمام الناس؟ أهذه محبة؟! أم هذه شيعة أهل البيت؟!

وقبل ذلك كله ما روع به من مقتل أبيه؛ فقد أثر اغتياله على نفسية الحسن –رضي الله عنه– فترك فيها حزنًا وأسىً شديدًا، وكان مقتله سببًا في تزهيد الحسن في أهل العراق، أولئك الذين غمرتهم مكارم أخلاق أمير المؤمنين، وشرف صحبته، فأضلتهم الفتن، والأطماع، وانحرفوا عن الصراط المستقيم.

بل إن الحسن –رضي الله عنه– كان يقول: «أرى معاوية خيرًا لي من هؤلاء، يزعمون أنهم لي شيعة، ابتغوا قتلي، وأخذوا مالي، والله لأن آخذ من معاوية ما أحقن به دمي في أهلي، وآمن به في أهلي، خيرٌ من أن يقتلوني؛ فيضيع أهل بيتي وأهلي، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي

---

١ – البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/٣٤، والطبري، تاريخ الطبري: ٥/١٥٩، ١٦٢، والمسعودي، مروج الذهب: ٣/٩، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ٤/٢٢٤، والمجلسي، بحار الأنوار: ٤٤/١٥.

٢ – اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢/٢١٥، وابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/٢٠٢، وابن خلكان: ٢/١٣٧، وحسين الموسوي، لله ثم للتاريخ: صـ٢٥.

حتى يدفعوا بي إليه سلمًا، والله لأن أسالمه وأنا عزيز خيرٌ من أن يقتلني وأنا أسيرٌ»[١].

وقد قال أيضًا: «عرفت أهل الكوفة وبلوتهم، ولا يصلح لي من كان منهم فاسدًا، إنهم لا وفاء لهم، ولا ذمة، في قولٍ، ولا فعلٍ، إنهم مختلفون، ويقولون لنا: إن قلوبهم معنا، وإن سيوفهم لمشهورة علينا»[٢].

---

١ – الطبرسي: أحمد بن علي بن أبي طالب، عاش في القرن السادس الهجري، الاحتجاج، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت، ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م: صـ١٤٨.

٢ – الطبرسي، الاحتجاج: صـ١٤٨.

المبحث الرابع

شيعة العراق وموقفهم من الحسين بن عليٍّ -رضي الله عنهما- ت ٦١هـ

١- من الناحية العسكرية، والولاء:

ولمَّا توفِّي الحسن -رضي الله عنه- واجتمع الشيعة حول أخيه الحسين -رضي الله عنه- ثم أن يزيد بن معاوية لما تولَّى الخلافة بعد أبيه كتب إلى عامله بالمدينة الوليد بن عقبة بن أبي سفيان أن يأخذ البيعة من الحسين بن عليٍّ -رضي الله عنهما- ولما طلب الوليد منه ذلك، خرج الحسين إلى مكة، فأقام بها أيَّامًا، ولما بلغ أهل العراق أن الحسين لم يبايع ليزيد بن معاوية، أرسلوا إليه الكتب تفيض حماسةً، وعطفًا، كلهم يقولون في كتبهم: «إنا قد حبسنا أنفسنا عليك، ولسنا نحضر الجمعة مع الوالي، فأقدم علينا»[1].

عند ذلك أرسل الحسين بن عليٍّ ابن عمِّه مسلم بن عقيل بن أبي طالب؛ لتقصي الأمور هناك، وليعرف حقيقة الأمر، ويجليه له، فلما وصل مسلم بن عقيل إلى الكوفة صار يسأل حتى علم أن الناس هناك لا يريدون يزيد، بل الحسين بن علي، ونزل عند هانئ بن عروة، وجاء الناس جماعات، ووحدانًا، يبايعون مسلم بن عقيل على بيعة الحسين[2].

فبعد أن استقرت الأمور، وبايع كثير من الناس لمسلم بن عقيل، أرسل إلى الحسين أن أقدم فإن الأمر قد تهيَّأ، فخرج الحسين بن علي -رضي الله عنهما- في يوم التروية، وبعد أن شاور كبار الصحابة من أهل المدينة، فمنهم من حذَّر السير إليهم، ومنهم من رغَّبه في ذلك.

---

١ - الطبري، تاريخ الطبري: ٣٤٧/٥، والبلاذري، أنساب الأشراف: ١٥٨/٣، وابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٦٦/٣، وابن خلدون: ٤٨/٣.

٢ - الطبري، تاريخ الطبري: ٣٤٩/٥، واليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢٤٢/٢، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣٥٩/٤، وابن العربي، العواصم من القواصم: صـ٢٢٩، ٢٣٠.

وبعد أن استشارهم أعطي قرار السير إليهم، وفي أثناء ذلك حدثت تغييرات كبيرة في الكوفة، والبصرة، فقام يزيد بن معاوية بعزل حاكمها النعمان بن بشير وعيَّن عبيد الله بن زياد بدلًا منه، فضبط الأمور فيها وخوف أهلها، وعلم بما فعله هانئ بن عروة، فبعث إليه، وكان عبيد الله بن زياد قد علم ما قام به مسلم بن عقيل، فقال: عليّ بهانئ بن عروة، فجيء به فسأله: أين مسلم بن عقيل؟ قال: لا أدري، فنادى مولاه معقلًا، فدخل عليه، فقال: هل تعرفه؟ قال: نعم، فأسقط في يده، فقال له عبيد الله بن زياد عند ذلك: أين مسلم بن عقيل؟ فقال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها، فضربه عبيد الله بن زياد، ثم أمر بحبسه(١).

وبلغ الخبر مسلم بن عقيل فخرج بأربعة آلاف وحاصر قصر عبيد الله، وخرج أهل الكوفة معه، وكان عند عبيد الله في ذلك الوقت أشراف الناس، فقال لهم: خذلوا الناس عن مسلم بن عقيل، ووعدهم بالعطايا، وخوفهم بجيش الشام، فصار الأمراء يخذلون الناس عن مسلم بن عقيل، فما زالت المرأة تأتي وتأخذ ولدها، ويأتي الرجل ويأخذ أخاه، ويأتي أمير القبيلة فينهى الناس(٢)، حتى لم يبق معه إلا ثلاثون رجلًا من أربعة آلاف! وما غابت الشمس إلا ومسلم بن عقيل وحده، ذهب كل الناس عنه، وبقي وحيدًا يمشي في دروب الكوفة لا يدري أين يذهب؟ هكذا نرى أن أهل الكوفة يأخذهم الحماس ثم سرعان ما يعتريهم الخوف، والجبن، والتخاذل، وهذه هي حالتهم على طول الطريق، وهكذا وجد مسلم نفسه وحيدًا، فطرق الباب على امرأة من كندة، فقال لها: أريد ماءً، فاستغربت منه، ثم قالت له: من أنت؟ فقال: أنا مسلم بن عقيل، وأخبرها الخبر، وأن الناس خذلوه، وأن

---

١ – الطبري، تاريخ الطبري: ٣٤٩/٥، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣٦٤/٤، وابن خلدون: ٥١/٣.

٢ – الطبري، تاريخ الطبري: ٣٥٠/٥، ٣٧١، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ٣٣٩/٤، ٣٤٠، وابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٧٢/٣.

الحسين سيأتي؛ لأنه أرسل إليه أن أقدم فأدخلته عندها في بيتٍ مجاورٍ، وأتته بالماء والطعام، ولكن ولدها قام بإخبار عبيد الله بن زياد بمكان مسلم بن عقيل، فأرسل إليه سبعين رجلًا، فحاصروه فقاتلهم، وفي النهاية استسلم لهم عندما أمنوه، فأخذ إلى قصر الإمارة الذي فيه عبيد الله بن زياد، فلما دخل سأله عبيد الله عن سبب خروجه، فقال: بيعة في أعناقنا للحسين بن عليٍّ، قال: أو ليست في عنقك بيعة ليزيد؟ فقال له: إني قاتلك، قال: دعني أوصي، قال: نعم أوصِ، فالتفت فوجد عمر بن سعد بن أبي وقاصٍ، فقال له: أنت اقرب الناس مني رحمًا تعالَ أوصيك، فأخذه في جانبٍ من الدار، وأوصاه بأن يرسل إلى الحسين بأن يرجع، فأرسل عمر بن سعد رجلًا إلى الحسين ليخبره بأن الأمر قد انقضى، وأن أهل الكوفة قد خدعوه، وقال مسلم كلمته المشهورة: «ارجع بأهلك، ولا يغرنك أهل الكوفة، فإن أهل الكوفة قد كذبوك، وكذبوني، وليس لكاذبٍ رأيٌ[1]؛ لينصرف إلى حرم الله فيقيم به»[2].

قتل عند ذلك مسلم بن عقيل في يوم عرفة، وكان الحسين قد خرج من مكة في يوم التروية قبل مقتل مسلم بن عقيل بيوم واحدٍ[3].

لقد ظهر غدر شيعة أهل الكوفة للحسين حتى قبل أن يصل إليهم، فلقد قتل مسلم بن عقيل، وقتل مضيفه هانئ بن عروة المرادي، كل ذلك وشيعة الكوفة لم يتحرك لهم ساكن، بل تنكروا لوعودهم للحسين –رضي الله عنه– واشترى ابن زياد ذممهم بالأموال[4].

---

١ – الطبري، تاريخ الطبري: ٣٧٦/٥، ٣٧٧، والمسعودي، مروج الذهب: ٦٨/٣، وابن كثير، البداية والنهاية: ١٧٠/٨.

٢ – الدينوري، الأخبار الطوال: صـــ٢٤١، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣٥٩/٤.

٣ – الطبري، تاريخ الطبري: ٣٨١/٥، والبلاذري، أنساب الأشراف: ١٦٠/٣، وابن الأثيـــر، الكامل: ٢٧٦/٣، وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: ٦٧/١.

٤ – اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢٤٣/٢.

وللأسف خُدِعَ الحسين –رضي الله عنه– بهم، وسار إليهم بعد أن حذره كثيرٌ من المقربين إليه من الخروج لما يعرفون من خيانة شيعة العراق، فلما بلغ خبر عزمه على الخروج إلى ابن عمه عبد الله بن عباس أتاه، وقال: يا ابن عم إنه قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق، فبيّن لي ما أنت صانع؟ قال: قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى، فقال له ابن عباس: أخبرني إن كان دعوك بعدما قتلوا أميرهم، ونفوا عدوهم، وضبطوا بلادهم، فسر إليهم، وإن كان أميرهم حي وهو مقيم عليهم، قاهر لهم، وعماله تجبي بلادهم، فإنهم إنما دعوك للفتنة، والقتال، ولا آمن عليك أن يستفزوا عليك الناس، ويقلبوا قلوبهم عليك، فيكون الذي دعوك أشد الناس عليك، فقال الحسين: «إني أستخير الله، وأنظر ما يكون»[١].

ولكن ابن عباس أدرك من كلام الحسين واستعداده أنه عازم على الخروج، ولكنه يحاول إخفاء الأمر عنه لعلمه بعدم رضاه عن ذلك؛ لذا جاء ابن عباس إلى الحسين من الغد، فقال: يا ابن عم إني أتصبر ولا أصبر، وإني أتخوّف عليك في هذا الوجه الهلاك، أن أهل العراق قوم غدر، فلا تغترن بهم، أقم في هذا البلد حتى ينفي أهل العراق عدوهم، ثم أقدم عليهم، وإلا فسِرْ إلى اليمن، فإن به حصونًا، وشعابًا، ولأبيك به شيعة، وكن عن الناس بمعزل، واكتب إليهم، وبث دعاتك فيهم، فإني أرجو إذا فعلت ذلك أن يكون ما تحبّ، فقال الحسين: يا ابن عم! والله إني لأعلم أنك ناصح شفيق، ولكني قد أزمعت المسير، فقال له: فإن كنت ولا بد سائرًا فلا تسر بأولادك، ونسائك، فو الله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان، ونساؤه، وولده، ينظرون إليه، إلى أن قال: فو الله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك

---

١ – الطبري، تاريخ الطبري: ٣٨٣/٥، والدينوري، الأخبار الطوال: صـ٢٤٣، والبلاذري، أنساب الأشراف: ١٦١/٣، وابن الأثير، الكامل: ٢٧٥/٣، وابن خلدون: ٥١/٣.

إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع عليَّ وعليك الناس، أطعتني وأقمت، لفعلت ذلك[١].

وقال عبد الله بن الزبير للحسين: أين تذهب؟ تذهب إلى قوم قتلوا أباك، وطعنوا أخاك، لا تذهب، فأبى الحسين إلا أن يخرج[٢].

قال أبو سعيد الخدري: يا أبا عبد الله إني لك ناصح، وإني عليكم مشفق، قد بلغني أنه قد كاتبكم قومٌ من شيعتكم بالكوفة، يدعونك إلى الخروج إليهم، فلا تخرج إليهم، فإني سمعت أباك يقول في الكوفة: والله لقد مللتهم، وأبغضتهم، وملوني، وأبغضوني، وما يكون منهم وفاء قط، ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيب، والله ما لهم نيات، ولا عزم على أمرٍ، ولا صبرٍ على سيف[٣].

بعد خروج الحسين لقي الفرزدق الشاعر، فقال له: من أين؟ قال: من العراق، قال: كيف حال أهل العراق؟ قال: قلوبهم معك، وسيوفهم مع بني أمية، فأبى إلا أن يخرج، وقال: الله المستعان[٤].

ومما يلفت الانتباه –زيادة على إجماع الناصحين للحسين –رضي الله عنه– على خيانة أهل الكوفة، ووجوب عدم الثقة بوعودهم– كذلك يلفت الانتباه إجماعهم في توقعهم لمقتل الحسين، كما يبدو ذلك من أسفهم عليه، وكلمات التوديع له، وما ذلك إلا دليل على معرفة أولئك الناصحين من

---

١ – الطبري، تاريخ الطبري: ٣٨٣/٥، ٣٨٤، والبلاذري، أنساب الأشراف: ١٦١/٣، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣٥٨/٤، وابن الأثير، الكامل: ٢٧٦/٣، وابن كثير، البداية والنهاية: ١٧٣/٨.

٢ – الدينوري، الأخبار الطوال: صـ٢٤٤، والبلاذري، أنساب الأشراف: ١٦٢/٣، والمسعودي، مروج الذهب: ٦٥/٣.

٣ – ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٣٢٩/٤، ٣٣٠، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣٥٨/٤، وابن كثير، البداية والنهاية: ١٧٥/٨، ١٧٧.

٤ – الدينوري، الأخبار الطوال: صـ٢٤٥، والبلاذري، أنساب الأشراف: ١٦٥/٣، والطبري، تاريخ الطبري: ٣٨٦/٥، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣٥٨/٤.

العلماء بالأوضاع، ووعيهم لما سبق من أحداثٍ جرت إبَّان الفتنة بين عليٍّ ومعاوية –رضي الله عنهما– عرفوا من خلالها الدوافع والأهواء التي تدفع ببعض الأقوام للاستفادة من إثارة الإحن، ودوام الفتن.

ولما بلغ الحسين مقتل ابن عمِّه مسلم بن عقيل، وتخاذل الناس عنه، أعلم الحسين من معه بذلك، وقال: من أحب أن ينصرف فلينصرف، فتفرق الناس عنه يميناً وشمالًا[١]، وقال له بعض من ثبتوا معه: ننشدك الله إلا ما رجعت من مكانك، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر، ولا شيعة، بل نتخوف أن يكونوا عليك، فوثب بنو عقيل –إخوة مسلم– وقالوا: والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا، أو نذوق كما ذاق مسلم... وقال له بعض أصحابه: إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع[٢].

٢- من ناحية الاحترام والتقدير:

فلما خرج الحسين –رضي الله عنه– وكان في أهله، وقلة من أصحابه، عددهم نحو سبعين رجلًا، وبعد مراسلاتٍ وعروض، دار القتال، فقتل الحسين –رضي الله عنه– وقتل سائر أصحابه، وكان آخر كلامه قبل أن يسلم الروح: «اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا»[٣].

بل دعاؤه عليهم مشهور؛ حيث قال قبل استشهاده: «اللَّهُمَّ أمسك عَنْهُمْ قطر السماء، وامنعهم بركات الأرض، اللَّهُمَّ إن متعتهم إِلَى حين ففرقهم فرقًا، واجعلهم طرائق قددًا، وَلا ترض عَنْهُمُ الولاة أبدًا، فإنهم دعونا لينصرونا، ثمَّ عَدَوْا علينا فقتلونا»[٤].

---

١ – ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٧٨/٣.

٢ – الطبري، تاريخ الطبري: ٣٩٧/٥، ٣٩٨، والدينوري، الأخبار الطوال: صـ٢٤٧، وابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ٥/٢، وابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٧٨/٣، وابن كثير، البداية والنهاية: ١٨٣/٨،.

٣ – الطبري، تاريخ الطبري: ٤٥١/٥، والمسعودي، مروج الذهب: ٧٠/٣.

٤ – الطبري، تاريخ الطبري: ٤٥١/٥.

وقتل مع الحسين من أبناء علي بن أبي طالب: جعفر، والعباس، وأبو بكر، ومحمد، وعثمان، **ومن أبناء الحسين:** عبد الله، وعلي الأكبر غير علي زين العابدين، **ومن أبناء الحسن:** عبد الله ، والقاسم، وأبو بكر، **ومن أبناء عقيل:** جعفر، وعبد الله، وعبد الرحمن، وعبد الله بن مسلم بن عقيل، ومسلم بن عقيل كان قد قتل بالكوفة، **ومن أولاد عبد الله بن جعفر:** عون، ومحمد. ثمانية عشر رجلًا كلهم من آل بيت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قتلوا في هذه المعركة غير المتكافئة[1].

لقد نصح محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية أخاه الحسين –رضي الله عنه– قائلًا له: «يا أخي، إن أهل الكوفة قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى»[2].

ويدل كلام الحسين بن علي هذا على خيانتهم له، وتفريطهم فيه، وتخاذلهم عنه، وهم في حقيقة الأمر الذين قتلوه، يشهد لهذا كلام أئمة البيت من ذرية الحسين، بل زعماء الشيعة أنفسهم.

فهذا الحر بن يزيد يقول لأهل الكوفة: «يا أهل الكوفة لأمكم الهبل[3]، أدعوتم الحسين إليكم حتى إذا أتاكم أسلمتموه، وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه، ثم عدوتم عليه لتقتلوه، ومنعتموه التوجه في بلاد الله العريضة الواسعة التي لا يمنع فيها الكلب، والخنزير، وحلتم بينه وبين الماء الفرات

١ – المسعودي: مروج الذهب: ٣/٧١، وخليفة بن خياط: أبو عمرو، خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: د/ أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ: صـ٢٣٤.

٢ – عثمان بن محمد الخميس، حقبة من التاريخ، مصر– الإسماعيلية، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ: صـ٢٤٩.

٣ – يقال: هبلته أمه إذا ثكلته، وفقدته.

الجاري الذي يشرب منه الكلب والخنزير، بئس ما خلفتم محمدًا في ذريته، لا سقاكم الله يوم الظمأ الأكبر إن لم تتوبوا وترجعوا»[١].

كما يقول المسعودي، وهو من المؤرخين الشيعة: «وكان جميع من حضر مقتل الحسين من العساكر، وحاربه، وتولَّى قتله من أهل الكوفة خاصة، ولم يحضرهم شامي»[٢].

وعندما خاطبهم الحسين –رضي الله عنه– أشار إلى سابقتهم، وفعلتهم مع أبيه، وأخيه في خطاب منه كما يقول ابن الأثير: «وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا، وَنَقَضْتُمْ عَهْدِي، وَخَلَعْتُمْ بَيْعَتِي من أعناقكم، فَلَعَمْرِي مَا هِيَ لَكُمْ بِنَكِيرٍ، لَقَدْ فَعَلْتُمُوهَا بِأَبِي وَأَخِي وَابْنِ عَمِّي مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ، وَالْمَغْرُورُ مَنِ اغْتَرَّ بِكُمْ»[٣].

وقالت أم كلثوم بنت علي –رضي الله عنها–: «يا أهل الكوفة، سوأة لكم، ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه، وانتهبتم أمواله، وورثتموه، وسبيتم نساءه، ونكبتموه، فتبًّا لكم، وسحقًا لكم، أي دواهٍ دهتكم، وأي وزرٍ على ظهوركم حملتم، وأي دماءٍ سفكتموها، وأي كريمةٍ أصبتموها، وأي صبيةٍ سلبتموها، وأي أموالٍ انتهبتموها، قتلتم خير رجالات بعد النبي –صلى الله عليه وآله– ونزعت الرحمة من قلوبكم»[٤].

وقالت وهي تخاطب الجمع الذي استقبلها بالبكاء والعويل –وفي روايةٍ: أنها أطلت برأسها من المحمل، وقالت لأهل الكوفة: «صه يا اهل الكوفة، تقتلنا رجالكم، وتبكينا نساؤكم، فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء»[٥].

---

١ – البلاذري، أنساب الأشراف: ١٨٩/٣، وابن كثير، البداية والنهاية: ١٩٦/٨.

٢ – المسعودي، مروج الذهب: ٧١/٣.

٣ – ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٨٠/٣.

٤ – عثمان الخميس، حقبة من التاريخ: صـــ٢٥٢.

٥ – السابق: صـــ٢٥٢.

وها هي السيد زينب أخت الإمام الحسين –رضي الله عنه– تحمِّل شيعة أهل الكوفة مقتل الحسين –رضي الله عنه– فتقول لأهل الكوفة تعريضًا لهم وتوبيخًا: «يا أهل الكوفة، يا أهل الختل، والغدر، والحدل[١]... إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوةٍ أنكاثًا، هل فيكم إلا الصلَف، والعُجب، والشنف، والكذب، أتبكون أخي؟! أجل والله فابكوا كثيرًا، واضحكوا قليلًا، فقد بُليتم بعارها، ومنيتم بشنارها، ولن ترحضوها أبدًا، وإني ترحضون قتل سليل خاتم النبوة! ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة... ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم... وبؤتم بغضبٍ من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة»[٢].

إن أهل الكوفة هم الذين كاتبوا الحسين بن علي، وهو في المدينة، ومنّوه بالخروج، حتى خرج إليهم بالرغم من تحذيرات الصحابة له بعدم الخروج، ولما عين ابن زياد أميرًا على الكوفة تأخَّر الناس عن نصرة الحسين، وعن تأييده، بل وانخرطوا في الجيش الذي حاربه وقتله؛ ولذا عبَّر الطبري عن موقف أهل الكوفة من الحسين بقوله: «فخُذِل غالب الناس عنه، فتأخروا رغبة ورهبة، ولما تقابل الحسين ومن معه مع جند الكوفة نادى الحسين زعماء أهل الكوفة قائلًا: يَا شبث بن ربعي، ويا حجار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يَزِيد بن الْحَارِث، ألم تكتبوا إليَّ أن قَدْ أينعت الثمار، واخضرَّ الجناب، وطمت الجمام، وإنما تقدم عَلَى جند لك مجند، فأقبل! قَالُوا لَهُ: لم نفعل، فَقَالَ: سبحان اللَّه! بلى وَاللَّهِ، لقد فعلتم، ثُمَّ

---

١ – يقال: حدل عليه حدلًا وحدولًا: مال عليه بالظلم، وفي بعض النسخ: «الخذل». المجلسي: ١٦٣/٤٥.

٢ – الطبرسي، الاحتجاج: ٢٩/٢، ٣٠، والمجلسي، بحار الأنوار: ١٦٣/٤٥، وحسين الموسوي، لله ثم للتاريخ: صـ١٧، ١٨.

قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إذ كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إِلَى مأمني من الأرض»[١].

ويناديهم ويذكرهم بخيانتهم للعهود والمواثيق؛ فيقول لهم: «ولكنكم استسرعتم إلى بيعتنا كطيرة الدبا، وتهافتم كتهافت الفراش، ثم نقضتموها سفهًا، وبعدًا، وسحقًا لطواغيت هذه الأمة بقية الأحزاب، ونبذة الكتاب، ثم أنتم هؤلاء تتخاذلون عنا، وتقتلوننا ألا لعنة الله على الظالمين»[٢].

وهذه النصوص تبيِّن لنا من هم قتلة الحسين –رضي الله عنه– الحقيقيُّون، إنهم شيعته أهل الكوفة، فلماذا يحملون أهل السنة مسئولية مقتل الحسين –رضي الله عنه– ويُزوِّرون الحقيقة والتاريخ أمام أعين أبنائهم، وأجيالهم، أليس من الصواب أن يعترفوا بهذا الذنب، ويتوبوا إلى الله منه، فيتوب الله عليهم.

وبالنظر إلى أقوال الصحابة –رضوان الله عليهم– فإن الاتهام موجه إلى أهل العراق، وذلك في المسؤلية المتعلقة بقتل الحسين –رضي الله عنه– فهذه أم سلمة –رضي الله عنها– لما جاء نعي الحسين بن علي لعنت أهل العراق، وقالت: «قتلوه قتلهم الله –عزَّ وجلَّ– غروه ودلوه لعنهم الله، اللهمَّ املأ بيوتهم وقبورهم نارًا»[٣].

وابن عمر –رضي الله عنهما– يقول لوفدٍ من أهل العراق حينما سألوه عن دم البعوض في الإحرام؛ فقال: «عجبًا لكم يا أهل العراق تقتلون ابن بنت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وتسألون عن دم البعوض؟!»[٤].

---

١ – الطبري، تاريخ الطبري: ٤٢٥/٥، والدينوري، الأخبار الطوال: صـ٢٤٩، واليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢٤٤/٢، والمجلسي، بحار: ٧/٤٥.

٢ – الطبرسي، الاحتجاج: ٢٤/٢، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ٣٣٧/٤، وحسين الموسوي: صـ١٦.

٣ – ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٣٤٤/٤.

٤ – ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ١١٤/٧، رقم (٣٧٥٣)، وابن عساكر،

ويقول البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق: «روافض الْكُوفَة موصوفون بالغدر، وَالْبخل، وَقد سَار الْمثل بهم فيها، حَتَّى قيل: أبخل من كوفي، وأغدر من كوفي، وَالْمَشْهُور من غدرهم ثَلَاثَة أَشْيَاء:

أَحدهَا: أَنهم بعد قتل علي -رَضِي الله عَنهُ- بَايعُوا ابْنه الْحسن، وغدروا بِهِ فِي ساباط الْمَدَائِن فطعنه سِنَان الجعفي.

وَالثَّانِي: أَنهم كاتبوا الْحُسَيْن بن عَليّ -رَضِي الله عَنهُ-؛ لينصروه على يزِيد بن مُعَاوِيَة فاغتر بهم، وَخرج إِليهم، فَلَمَّا بلغ كربلاء غدروا بِهِ، وصاروا مَعَ عبيد الله بن زِيَاد يدًا وَاحِدَة عَلَيْهِ، حَتَّى قتل الْحُسَيْن، وَأَكْثَر عشيرته بكربلاء.

وَالثَّالِث: غدرهم بزيد بن على بن الْحُسَيْن، نكثوا بيعَته، وأسلموه عِنْد اشتداد الْقِتَال»[1].

إن جزءًا كبيرًا من المسئولية يقع على أهل الكوفة، الذين جبنوا ونقضوا عهودهم.

ثمَّ كان نتيجة غدرهم وخذلانهم له استشهاده -رضي الله عنه- هو وعامة من كان معه من أهل بيته، بعد أن تفرَّق عنه هؤلاء الخونة، فكان مقتله -رضي الله عنه- مصيبة عظيمة، ومأساة جسيمة، يتفطر لها قلب كل مسلم، تولَّى كبرها هؤلاء الشيعة، الذي يظهرون اليوم تحسرهم وندمهم على مقتل الحسين بإقامة تلك المآتم المبتدعة في يوم عاشوراء من كل سنة، فقبحهم الله ما أكذب دعواهم في ولاية أهل البيت ونصرتهم! وأعظم غدرهم وخذلانهم لهم!!

تاريخ دمشق: ٣١٧/٤.

١ - البغدادي، الفرق بين الفرق: صـــ٤٤، ٤٥.

المبحث الخامس

شيعة العراق وموقفهم من الأئمة: علي بن الحسين (زين العابدين)، وابنه محمد الباقر، وزيد بن علي، وجعفر الصادق رضي الله عنهم

١- مع علي بن الحسين زين العابدين[١] (ت ٩٥هـ):

لم تتغيَّر مواقف الشيعة من أهل البيت، فلم يتوبوا عن أفعالهم ومواقفهم الرخيصة، وما اقترفوه في حقهم، الأمر الذي جعل أهل البيت لم ينسوا ما فعلوه بهم، فهذا علي بن الحسين –رضي الله عنه– يخطب فيهم موبِّخًا شيعته الذين قتلوا أباه، وخذلوه، قائلًا: «أيها الناس نشدتكم بالله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه، وأعطيتموه العهد والميثاق، والبيعة، وقاتلتموه، وخذلتموه، فتبًّا لما قدمتم لأنفسكم، وسوأة لرأيكم، بأية عين تنظرون إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إذ يقول لكم: «قتلتم عترتي ، وانتهكتم حرمتي، فلستم من أمَّتي»، فارتفعت أصوات النساء بالبكاء من كل ناحية، وقال بعضهم لبعض: هلكتم وما تعلمون، فقال عليه

---

١ – هو: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، زين العابدين، ومنار القانتين، كان عابدًا، وفيًّا، وجودًا حفيًّا سخيًّا، وأمه أم ولد اسمها غزالة، وهو علي الأصغر بن الحسين، وأما علي الأكبر بن حسين فقتل مع أبيه بنهر كربلاء، وليس له عقب، ويكنى بأبي الحسين، وكان علي بن الحسين مع أبيه وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان مريضًا نائمًا على فراشه، فلما قتل الحسين، قال شمر بن ذي الجوشن: اقتلوا هذا، فقال له رجل من أصحابه: سبحان الله أنقتل فتى حدثًا مريضًا لم يقاتل، وهو من الطبقة الثانية من التابعين، ولد ومات بالمدينة المنورة. ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٢١١/٥، واليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٣٠٣/٢، وأبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ضبط وخرج أحاديثه: سامي أنور جاهين، طبع دار الحديث– القاهرة: ١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م: ٤١٤/٢، ٤٢٥، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٢٢٧/٥– ٢٣٥، وابن كثير، البداية والنهاية: ١١٦/٩، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢٦٦/٣، ٢٦٨.

السلام: «رحم الله امرءًا قَبِلَ نصيحتي، وحفظ وصيَّتي في الله، ورسوله، وأهل بيته، فإن لنا في رسول الله – صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة»، فقالوا بأجمعهم: نحن كلنا سامعون، مطيعون، حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك، ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك الله، فإنا حرب لحربك، وسلم لسلمك، لنأخذن يزيد ونبرأ ممن ظلمك وظلمنا، فقال عليه السلام: «هيهات هيهات، أيها الغدرة المكرة، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إليَّ كما أتيتم آبائي من قبل؟ كلا ورب الراقصات فإن الجرح لما يندمل، قتل أبي بالأمس، وأهل بيته معه، ولم ينسني ثُكل رسول الله –صلى الله عليه وسلم وآله– وثُكل أبي، وبني أبي، ووجده بين لهاتي، ومرارته بين حناجري، وحلقي، وغصته تجري في فراش صدري»[1].

وعندما مرَّ الإمام زين العابدين –رضي الله عنه– وقد رأى أهل الكوفة ينوحون ويبكون، زجرهم قائلًا: «تنوحون وتبكون من أجلنا فمن الذي قتلنا؟»[2].

ويذكر المؤرخ الشيعي اليعقوبي في تاريخه أنه لما دخل علي بن الحسين الكوفة رأى نساءها يبكين ويصرخن؛ فقال: «هؤلاء يبكين علينا فمن قتلنا؟ أي: من قتلنا غيرهم»[3].

وكان يقول لهم: «يا اهل العراق! أحبونا حب الإسلام، ولا تحبونا حب الأصنام، فما زال بنا حبكم حتى صار علينا شيئًا»[4].

---

١ – الطبرسي، الاحتجاج: ٧٩/٢، حسين الموسوي، لله ثم للتاريخ: صـــ١٧.

٢ – عثمان الخميس، حقبة من التاريخ: صـــ٢٥١.

٣ – اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢٣٥/١، والطبرسي، الاحتجاج: ٢٩/٢، وحسين الموسوي، لله ثم للتاريخ: صـــ١٧.

٤ – أبو نعيم، الحلية: ٤١٨/٢، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٢٢٩/٥، وابـــن تيميـــة، منهـــاج السنة: ٣٨٣/٤.

ومن المواقف المشهورة لعلي بن الحسين (زين العابدين) تبرأه من الشيعة مبغضي الصحابة، فقد قدم عليه نفرٌ من أهل العراق، فقالوا له في أبي بكر، وعمر، وعثمان، كلامًا قبيحًا، فلما فرغوا من كلامهم، قال لهم الإمام زين العابدين: «ألا تخبروني: أنتم المهاجرون الأولون ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨﴾ [الحشر: ٨]؟! قالوا: لا، قال: فأنتم الذين ﴿ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ ﴾ [الحشر: ٩]؟! قالوا: لا، قال أما أنتم قد تبرأتم من أحد هذين الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله فيهم: ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [الحشر: ١٠] اخرجوا عني فعل الله بكم»[١].

وفي رواية: «قوموا عنِّي لا بارك الله فيكم، ولا قرَّب الله دياركم مني، وأنتم مستهزئون بالإسلام»[٢].

وأبان عوارهم، وأظهر عارهم، وكشف من حقيقتهم، فقال: «إن اليهود أحبوا عزيرًا حتى قالوا فيه ما قالوا، فلا عزير منهم، ولا هم من عزير، وإن النصارى أحبوا عيسى حتى قالوا فيه ما قالوا، فلا عيسى منهم، ولا هم من عيسى، وأنا على سنة من ذلك، إن قومًا من شيعتنا سيحبونا حتى

---

١ – أبو نعيم، حلية الأولياء: ٤١٧/٢، وابن كثير، البداية والنهاية: ١٢٠/٩ـ، وإحسان إلهي ظهير الباكستاني، الشيعة والسنة: صـ٥٥.

٢ – أبو نعيم، الحلية: ٤١٧/٢، وابن كثير، البداية والنهاية: ١٢٠/٩.

يقولوا فينا ما قالت اليهود في عزير، وما قالت النصارى في عيسى، فلا هم منا، ولا نحن منهم»[1].

وها هي السيد فاطمة الصغرى ابنه الإمام عليّ زين العابدين تحمِّل شيعة الكوفة مسئولية مقتل جدها الحسين –رضي الله عنه– وتدعو عليهم بالويل، والخسران، واللعنة، والعذاب؛ فتقول: «يا أهل الكوفة، يا أهل الغدر، والمكر، والخيلاء، إنا أهل البيت ابتلانا الله بكم، وابتلاكم بنا، فجعل بلاءنا حسنًا.. فكفرتمونا، وكذبتمونا، ورأيتم قتالنا حلالًا، وأموالنا نهبًا.. كما قتلتم جدنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت.. تبًّا لكم، فانتظروا اللعنة، والعذاب، فكأن قد حل بكم .. ويذيق بعضكم بأس ما تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا، ألا لعنة الله على الظالمين. تبًّا لكم يأهل الكوفة، كم قرأت لرسول الله –صلى الله عليه وآله– قبلكم، ثم غدرتم بأخيه علي بن أبي طالب، وجدي، وبنيه، وعترته الطيِّبين.

فرد عليها أحد أهل الكوفة مفتخرًا؛ فقال:

نحن قتلنا عليًّا وبني علي * بسيوف هندية ورمـــــــاحِ**

وسبينا نساءهم سبي تركٍ * ونطحناهمُ فأيُّ نطاحِ[2]**

وهذه واحدة من نساء أهل البيت تتهم وتحمِّل شيعة أهل الكوفة مسئولية مقتل الحسين –رضي الله عنه– ومن معه، وقد اعترف أحدهم برده على فاطمة الصغرى بأنهم هم الذين قتلوا عليًّا، وبنيه، وسبوا نساءهم.

---

١ – الكشي، رجال الكشي: صـــ١٠٧، وإحسان إلهي ظهير، الشيعة والسنة: صـــ٢٩٥.

٢ – الطبرسي، الاحتجاج: ٢٧/٢، وحسين الموسوي، لله ثم للتاريخ: صـــ١٧.

٢- مع محمد الباقر[١]-رضي الله عنه- (٥٧- ١١٤هـ).

ظلت الشيعة على مواقفها الرديئة الرخيصة من أهل البيت خلال هذه الفترة الطويلة، الأمر الذي جعل الإمام محمد الباقر لا ينخدع بما يقولوه، فقد خبرهم وعرف كذبهم، وخذلانهم لأهل البيت.

لذلك كان يائسًا من نصرتهم ودفاعهم عن آل البيت إلى حدٍّ قوله لهم: «لو كان الناس كلهم لنا شيعة، لكان ثلاثة أرباعهم لنا شكاكًا، والربع الآخر أحمق»[٢].

كان يحب أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– ويترضى عنهم جميعًا، ولا سيما أبو بكر وعمر، فكان يترضى عنهما؛ عن ابن فضيل عن سالم بن ابي حفصة قال سألت أبا جعفر وابنه جعفر عن أبي بكر وعمر، فقالا لي: يا سالم، تولهما، وابرأ من عدوهما، فإنهما كانا إمامي هدي.

يذكر الذهبي أن سالمًا كان فيه تشيُّع ظاهر، ومع هذا يبث هذا القول الحق، وكذلك ناقلها ابن فضيل شيعي ثقة، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل، فعثَّر الله شيعة زماننا ما أغرقهم في الجهل، والكذب! فينالون من

١ – **هو**: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المعروف بمحمد الباقر، وهو ابن علي زين العابدين بن الحسين، أمه فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب، ويكنى بأبي جعفر من فحول علماء الإسلام؛ ولذلك لُقِّب بالباقر: من بقر العلم أي: شقَّه، واستخرج خفاياه، وقد كان إلى جانب علمه من العاملين بعلمهم؛ فكان عفَّ اللسان، طاهر القلب، وكان –رضي الله عنه– من أصدق الناس لهجةً، وأحسنهم بهجةً، وأبذلهم مهجةً. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢/٣٢٠، وأبو نعيم، حلية الأولياء: ٢/٢٦٤، ٢٦٥، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٥/٢٣٥، ٢٤٠، والمجلسي، بحار الأنوار: ٤٦/٢١٥.

٢ – الكشي، رجال الكشي: صـ٧٩، وإحسان إلهي ظهير، الشيعة والسنة: صـ٢٩٦، وحسين الموسوي، لله ثمَّ للتاريخ: صـ١٧.

الشيخين وزيري المصطفى -عليه الصلاة والسلام- ويحملون هذا القول من الباقر والصادق على التقية[١].

أورد أبو نعيم في الحلية عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْجُعْفِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ عَنْ حِلْيَةِ السُّيوفِ، فَقَالَ: لَا بَأْسَ بِهِ، قَدْ حَلَّى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- سَيْفَهُ، قَالَ: قُلْتُ: وَتَقُولُ الصِّدِّيقُ! قَالَ: فَوَثَبَ وَثْبَةً وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمِ الصِّدِّيقُ فَمَنْ لَمْ يَقُلْ لَهُ الصِّدِّيقُ، فَلَا صَدَّقَ اللهُ لَهُ قَوْلًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»[٢].

ذكر أبو نعيم في الحلية عن أَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شِمْرٍ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ لِي أبو جعفر مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ: «يَا جَابِرُ، بَلَغَنِي أَنَّ قَوْمًا بِالْعِرَاقِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَنَا وَيَنَاوَلُونَ من أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وَيَزْعُمُونَ أَنِّي أَمَرْتُهُمْ بِذَلِكَ، فَأَبْلِغْهُمْ أَنِّي إِلَى اللهِ مِنْهُمْ بَرِيءٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ وُلِّيتُ لَتَقَرَّبْتُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِدِمَائِهِمْ، لَا نَالَتْنِي شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَسْتَغْفِرُ لَهُمَا، وَأَتَرَحَّمُ عَلَيْهِمَا، إِنَّ أَعْدَاءَ اللهِ لَغَافِلُونَ عَنْهُمَا»[٣].

وعن شُعْبَةَ الْخَيَّاط مَوْلَى جَابِرٍ الْجُعْفِيِّ قَالَ: قَالَ لي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ لَمَّا وَدَّعْتُهُ: «أَبْلِغْ أَهْلَ الْكُوفَةِ أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّنْ تَبَرَّأَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَأَرْضَاهُمَا»[٤].

وعن مَسْعُودِ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، قَالَ: «شِيعَتُنَا مَنْ أَطَاعَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ».

---

١ - الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٥/٢٣٦.

٢ - أبو نعيم، حلية الأولياء: ٢/٤٦٤.

٣ - أبو نعيم، حلية الأولياء: ٢/٤٦٤، ٤٦٥.

٤ - أبو نعيم، حلية الأولياء: ٢/٤٦٥.

وعن عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ، قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [المائدة: ٥٥]، قَالَ: أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، قُلْتُ: يَقُولُونَ: هُوَ عَلِيٌّ، قَالَ: عَلِيٌّ مِنْهُمْ»[(١)].

٣- **زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب** (٨٠- ١٢٢هـ):

مضت فترة امتدت إلى أكثر من نصف قرن منذ مصرع المختار بن أبي عبيد الثقفي (٦٧هـ)، دون أن يقوم الشيعة بأية ثورة ضد الدولة الأموية؛ بسبب الضربات المتلاحقة التي حاقت بهم، وافتقارهم إلى الزعامة القوية التي تقودهم؛ لأن علي بن الحسين –رضي الله عنه– وهو الوحيد الذي نجا من مذبحة «كربلاء» سنة ٦١هـ، كان عازفًا عن الاشتغال بالسياسة، محبًّا للعلم، متفرغًا للعبادة، عارفًا وخبيرًا بشيعة أهل العراق وتقلباتهم، فلم يستجب لهم غير أن ابنه زيد بن علي –وكان عالمًا فاضلًا– حدثته نفسه بالخلافة، ورأى أنه أهلٌ لها، وعرف أهل الكوفة منه ذلك، فزينوا له الثورة على بني أمية، وقالوا له: «إنا لنرجو أن تكون المنصور، وأن يكون هذا الزمان الذي تهلك فيه بنو أمية»[(٢)].

وتشكَّك زيد بن علي في صدق نيتهم، وقوة عزيمتهم، وجدتهم في نصرته؛ ولذلك قال لهم: «إني أخاف أن تخذلوني وتسلموني كفعلتكم بأبي وجدي»،

---

١ – أبو نعيم، حلية الأولياء: ٢/٤٦٥.

٢ – البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/٢٣٦، وابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤/٢٤٢، وابن كثير، البداية والنهاية: ٩/٣٧١.

فيحلفون بالأيمان المغلظة[١]، فاستجاب لهم على الرغم من تحذير أهله، وأولاد عمومته من غدر أهل الكوفة[٢].

فيذكر المسعودي أنه شاور أخاه أبا جعفر بن علي بن الحسين، فأشار عليه بأن لا يركن إلى أهل الكوفة؛ إذ كانوا أهل غدر، ومكر، وقال له: «بها قُتِل جدُّك علي، وبها طُعِن عمُّك الحسن، وبها قُتِلَ أبوك الحسين، وفيها وفي أعمالها شُتِمْنا أهل البيت»، وأخبره بما كان عنده من العلم في مدة ملك بني مروان وما يتعقبهم من الدولة العباسية، فأبى إلا ما عزم عليه من المطالبة بالحق، فقال له: «إني أخاف عليك يا أخي أن تكون غدًا المصلوب بكناسة الكوفة»، وودعه أبو جعفر، وأعلمه أنهما لا يلتقيان[٣].

وهذا ابن عمه داود بن علي يقول له: «يَا ابْنَ عَمِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ يَغُرُّونَكَ مِنْ نَفْسِكَ، أَلَيْسَ قَدْ خَذَلُوا مَنْ كَانَ أَعَزَّ عَلَيْهِمْ مِنْكَ، جَدَّكَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى قُتِلَ؟ وَالْحَسَنَ مِنْ بَعْدِهِ بَايَعُوهُ، ثُمَّ وَثَبُوا عَلَيْهِ، فَانْتَزَعُوا رِدَاءَهُ وَجَرَحُوهُ؟ أَوَلَيْسَ قَدْ أَخْرَجُوا جَدَّكَ الْحُسَيْنَ، وَحَلَفُوا لَهُ، وَخَذَلُوهُ، وَأَسْلَمُوهُ، وَلَمْ يَرْضَوْا بِذَلِكَ حَتَّى قَتَلُوهُ؟ فَلَا تَرْجِعْ مَعَهُمْ». فَقَال أهل الكوفة: «إِنَّ هَذَا لَا يُرِيدُ أَنْ تَظْهَرَ أَنْتَ، وَيَزْعُمَ أَنَّهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ أَوْلَى بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ»، فَقَالَ دَاوُدُ: «إِنِّي خَائِفٌ إِنْ رَجَعْتَ مَعَهُمْ أَنْ لَا يَكُونَ أَحَدٌ أَشَدَّ عَلَيْكَ مِنْهُمْ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ»[٤].

---

١ – ابن الأثير، الكامل: ٢٤٢/٤.

٢ – المسعودي، مروج الذهب: ٢١٧/٣.

٣ – المسعودي، مروج الذهب: ٢١٨/٣.

٤ – البلاذري، أنساب الأشراف: ٢٣٣/٣، وابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٤٢/٤، وابن خلدون: ٢١١/٣.

ودخل زيد بن علي يومًا على هشام بالرصافة، فلما مثل بين يديه لم ير موضعًا يجلس فيه، فجلس حيث انتهى به مجلسه، وقال: «يا أمير المؤمنين، ليس تكبر عن تقوى الله، ولا تصغر عن تقوى الله»، فقال هشام: «اسكت لا أم لك، أنت الذي تنازعك نفسك في الخلافة، وأنت ابن أمة»، قال زيد: «يا أمير المؤمنين، إن لك جوابًا إن أحببت أجبتك له، وإن أحببت أمسكت عنه»، فقال: «بل أجب»، قال: «إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات، وقد كانت أم إسماعيل أمة لأم إسحاق –صلى الله عليها وسلم– فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبيًّا، وجعله للعرب أبًا، فأخرج من صلبه خير البشر محمدًا –صلى اله عليه وسلم– فتقول لي هذا وأنا ابن فاطمة، وابن علي!»، ثم قام من عنده فمضى إلى الكوفة وخرج معه القراء والأشراف، وشيعته، وقد بلغوا خمسة عشر ألفًا التفوا حوله، وبايعوا على القتال[1].

وانخدع زيد بن علي بأهل الكوفة فأعلن الثورة على هشام بن عبد الملك سنة ١٢١هـ، وتكررت أحداث قصة جده الحسين، وأعاد التاريخ نفسه فلم يتساهل الخليفة هشام مع ثورة تريد نقض ملكه، والإطاحة بدولته، فأمر واليه على الكوفة «يوسف بن عمر الثقفي» فتصدى لزيد بن علي الذي انفضَّ عنه شيعته عندما جدَّ الجدّ، وأسلموه إلى عدوه، كما أسلم أسلافهم جده الحسين –رضي الله عنه– ولم يبق معه في اللحظات الحرجة من بين خمسة عشر ألفًا بايعوه وعاهدوه على النصرة إلا نحو مائتي رجل، فقال عندئذٍ قولته المشهورة: «أفعلتموها حسينية»[2]، واستطاع يوسف بن عمر أن يقضي في سهولة ويسرٍ على تلك الثورة، وقتل زيد بن علي في صفر

١ – اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٣٢٥/٢، والبغدادي، الفرق بين الفرق: صـ٤٤.

٢ – ابن خلدون: ٢١٣/٣.

سنة ١٢٢هـ بعد أن أبلى بلاءً حسنًا[١]؛ حيث أصيب بسهم في جبهته قضى عليه[٢]، وبعث برأسه إلى هشام، فأمر بصلبه عريانًا، فقال بعض شعراء بني أمية يخاطب آل أبي طالب وشيعتهم:

صلبنا لكم زيدًا على جذع نخلة * ولم أرَ مهديًّا على الجذع يصلب[٣]**

وإن زيدًا مكث مصلوبًا خمسين شهرًا عريانًا، فلم يَرَ له أحد عورة؛ سترًا من الله تعالى له، وذلك بالكُناسة بالكوفة[٤].

وخرج ابنه يحيى بخراسان في عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقتل أيضًا بالجوزجان من بلاد خراسان، بعث إليه نصر بن سيار عامل يزيد على خراسان سلم بن أحوز المازني، فقتل يحيى في المعركة التي دارت بينهما في قرية أرغونة، واحتزَّ رأسه وحملت إلى الوليد وصلب جثمانه، ولم يزل مصلوبًا، لم يتحرك أحد من أهل العراق، وظل هكذا حتى خرج أبو مسلم الخراساني فقتل سلم بن أحوز، وأظهر أهل خراسان النياحة والحزن عليه[٥].

هكذا نرى تخاذل أهل الكوفة عن زيد بن علي، وتخليهم عنه، على الرغم أنهم هم الذين دفعوه لهذا الخروج، ثم لم يلبثوا أن تخلوا عنه، وخذلوه؛

---

١ – ابن الأثير، الكامل: ١٢٧/٥، وابن كثير، البداية والنهاية: ٣٧١/٩.

٢ – الدينوري، الأخبار الطوال: صـ٣٤٤، والمجلسي، بحار الأنوار: ١٧٢/٤٦، وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: ٢١٢/٣، ٢١٣.

٣ – البلاذري، أنساب الأشراف: ٢٣٢/٣، ٢٣٣، والمسعودي، مروج الذهب: ٢١٩/٣، ٢٢٥، وابن خلدون: ٢١٢/٣، ٢١٣.

٤ – البلاذري، أنساب الأشراف: ٢٨٧/٣، والشهرستاني، الملل والنحل: ١٨١/١، وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: ١٥٨/١.

٥ – الأشعري، مقالات الإسلاميِّين: صـ٦٦، والبغدادي، الفرق بين الفرق: صـ٤٥.

متعلِّلين بأنه لا يتبرأ من الشيخين أبي بكر، وعمر، ولا يلعنهما، بل يترضى عنهما؛ لذلك تركوه يلقى مصيره هو وأهل بيته، فقالوا له: «مَا قَوْلُكَ –يَرْحَمُكَ اللَّهُ– فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؟» فَقَالَ: «غفَرَ اللَّهُ لَهُمَا، مَا سَمِعْتُ أَحَدًا من أهل بيتي تبرأ منهما، وأنا لا أقول فيها إِلَّا خَيْرًا»، قَالُوا: «فَلِمَ تَطْلُبُ إِذًا بِدَمِ أَهْلِ الْبَيْتِ؟»، فَقَالَ: «إِنَّا كُنَّا أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ، ولَكِنَّ الْقَوْمَ اسْتَأْثَرُوا عَلَيْنَا بِهِ، وَدَفَعُونَا عَنْهُ، ولَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ عِنْدَنَا بِهِمْ كُفْرًا، قَدْ وَلُوا فَعَدَلُوا، وَعَمِلُوا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»، قَالُوا: «فَلِمَ تُقَاتِلُ هَؤُلَاءِ إِذًا؟»، قَالَ: «إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيْسُوا كَأُولَئِكَ، إِنَّ هَؤُلَاءِ ظَلَمُوا النَّاسَ، وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَإِنِّي أَدْعُو إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ –صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَإِحْيَاءِ السُّنَنِ، وَإِمَاتَةِ الْبِدَعِ، فَإِنْ تَسْمَعُوا يَكُنْ خَيْرًا لَكُمْ ولِي، وَإِنْ تَأْبَوْا فَلَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ».

فرفضوه وَانْصَرَفُوا عَنْهُ، وَنَقَضُوا بَيْعَتَهُ، وَتَرَكُوهُ؛ فَلِهَذَا سُمُّوا الرَّافِضَةَ مِنْ يَوْمِئِذٍ، وَمَنْ تَابَعَهُ مِنَ النَّاسِ عَلَى قَوْلِهِ سُمُّوا الزَّيْدِيَّةِ(١).

يقول البلاذري: «وكان يقول: رفضني الرافضة كما رفضت الخوارج عليًّا»(٢)، ومن هنا سميت الزيدية بهذا الاسم نسبةً إلى زيد بن علي

وهذه الفرقة لم تغلُ في عقائدها، ولم يكفر الأكثرون منها أحدًا من أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ولم ترفع الأئمة إلى مرتبة الألوهية، ولا إلى مرتبة النبوة.

---

١ – البلاذري، أنساب الأشراف: ١/٢٤٠، والأشعري، مقالات الإسلاميين: صـ٦٥، والبغدادي، الفرق بين الفرق: صـ٤٤.

٢ – البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/٢٤٤، والشهرستاني، الملل والنحل: ١/١٧٩، ١٨١.

وكانت الزيدية يجيزون الإمامة في كل أولاد فاطمة سواء أكانوا من نسل الإمام الحسن، أم من نسل الإمام الحسين –رضي الله عنهما– والإمامة عندهم ليست بالنص، أي: ليست وراثية، وإنما تقوم بالبيعة، فمن كان من أولاد فاطمة –رضي الله عنها– وفيه شروط الإمامة كان أهلًا لها، ولا يجوز عندهم أن يكون الإمام مستورًا؛ إذ لا بدَّ من اختياره من قِبَل أهل الحل والعقد، ولا يتم اختياره إلا إذا أعلن عن نفسه مبينًا أحقيته بالإمامة.

وتقول الزيدية بإمامة المفضول مع وجود الأفضل؛ إذ لا يشترط أن يكون الإمام أفضل الناس، ومعظم الزيدية يقرون خلافة أبي بكر، وعمر، ولا يلعنونهما كما تفعل الإمامية الاثنى عشرية، وغيرها من فرق الشيعة، بل يترضون عنهما، ويقرون بصحة خلافة عثمان.

وقد أخذ الإمام أبو حنيفة عن الإمام زيد بن علي العلم، وتتلمذ على يديه، فقد كان –رحمه الله– تقيًّا، ورعًا، عالمًا، فاضلًا، مخلصًا، شجاعًا، مهيبًا، ملمًّا بكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

كما أن حفيدًا لزيد بن علي، وهو أحمد بن عيسى بن زيد بن علي قد أخذ عن تلاميذ أبي حنيفة في العراق، وقد تلاقى المذهبان الحنفي السني، والزيدي الشيعي في العراق أولًا، وفي بلاد ما وراء النهر ثانيًا؛ مما جعل التأثر والتأثير متبادلًا بين الطرفين، ثم انتقل مذهب الزيدية إلى بلاد اليمن، ولا يزال موجودًا بها حتى الآن[1].

---

١ – انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ١٨٠/٧، ١٨١، والأشعري، مقالات الإسلاميين: صـ٦٥، والبغدادي، الفرق بين الفرق: صـ٤٤، والشهرستاني، الملل والنحل: ١٨١/١، ومحمد أبو زهرة، الإمام زيد: صـ١٢، ١٥، دار الفكر العربي– القاهرة، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: صـ٢٥٧، ٢٥٨، وحسن محمد أيوب، تبسيط العقائد الإسلامية، دار الندوة الجديدة، بيروت– لبنان، الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ=

٤- مع جعفر الصادق –رضي الله عنه- (ت ١٤٨هـ):

وأما جعفر الصادق بن الباقر[١] الذي عرف عنه حبه لأبي بكر وعمر وعثمان، فلقد كان محبًّا لهم، ومعظمًا، ومزكيًا لهم، مبغضًا لمن أبغضهم، فلأجله كان يبغض الشيعة، ويمقتها لموقفهم من جده أبي بكر وصاحبه الفاروق.

فلقد جاء إلى قوم قد هموا أن يرتحلوا من المدينة، فقال لهم: «إِنَّكُم –إِنْ شَاءَ اللهُ– مِنْ صَالِحِي أَهْلِ مِصرِكُم، فَأَبلِغُوهُم عَنِّي: مَنْ زَعَمَ أَنِّي إِمَامٌ مَعصُومٌ، مُفتَرَضُ الطَّاعَةِ، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيْءٌ، وَمَنْ زَعَمَ أَنِّي أَبْرَأُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيْءٌ»[٢].

وكان يقول: «كان آل أبي بكر يدعون على عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– آل رسول الله صلى الله عليه وسلم»[٣].

١٩٨٣م: صـ٣٠١، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٥/٢٨٩، وابن الأثير، الكامل: ٤/٢٤٠، ٢٤١، وابن كثير، البداية والنهاية: ٩/٣٧١.

١ – **هو**: جعفر بن محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن أبي طالب، وأمه هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأمها –أي جدته من قبل أمه– هي: أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق –رضي الله عنهم أجمعين– ولد سنة ثمانين من الهجرة، وتوفي سنة ١٤٨هـ، وعمره ثمان وستون سنة، وبالمدينة ولادته، ووفاته، لقب جغفر بن محمد بالصادق، وغلب هذا اللقب عليه، فلا يكاد يذكر إلا وانصرف إليه؛ وسببه أنه كان صادقًا في حديثه، وقوله، وفعله، لا يعرف عنه سوى الصدق، ولم يعرف عنه كذب قط. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢/٣٨١، وأبو نعيم، حلية الأولياء: ٢/٤٧٣، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٦/٣٦٢، ٣٧٢، والمسعودي، مروج الذهب: ٣/٣٩٧، وابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: ١/٣٢٧.

٢ – الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٦/٣٦٥.

٣ – ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٣/٣٣٩، والذهبي، سير اعلام النبلاء: ٦/٣٦٤.

وجاءه رجل يسأله: «إِنَّ لِي جَارًا يَزْعُمُ أَنَّكَ تبرأُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ»، فَقَالَ جَعْفَرٌ: «بَرِئَ اللهُ مِنْ جَارِكَ، وَاللهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَنْفَعَنِي اللهُ بِقَرَابَتِي مِنْ أَبِي بَكْرٍ»[١].

وقال: «مَا أَرْجُو مِنْ شَفَاعَةِ عَلَيٍّ شَيْئًا، إِلاَّ وَأَنَا أَرْجُو مِنْ شَفَاعَةِ أَبِي بَكْرٍ مِثْلَه، لَقَدْ وَلَدَنِي مَرَّتَيْنِ»[٢].

قَالَ سَالِمُ بنُ أَبِي حَفْصَةَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ وَابْنَه جَعْفَرًا عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: يَا سَالِمُ! تَوَلَّهُمَا، وَابْرَأْ مِنْ عَدُوِّهِمَا، فَإِنَّهُمَا كَانَا إِمَامَيْ هُدَىً، ثُمَّ قَالَ جَعْفَرٌ: يَا سَالِمُ! أَيَسُبُّ الرَّجُلُ جَدَّه، أَبُو بَكْرٍ جَدِّي، لاَ نَالَتْنِي شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَوْمَ القِيَامَةِ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَتَوَلاَّهُمَا، وَأَبرأُ مِنْ عَدوِّهِمَا[٣].

وقال عَمْرُو بنُ قَيْسٍ المُلاَئِيُّ، سَمِعْتُ جَعْفَرَ بنَ مُحَمَّدٍ يَقُوْلُ: «بَرِئَ اللهُ مِمَّنْ تَبَرَّأَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ».

قال الإمام الذهبي: «هَذَا القَوْلُ مُتَوَاتِرٌ عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ، وَأَشْهَدُ بِاللهِ إِنَّهُ لَبَارٌّ فِي قَوْلِهِ، غَيْرُ مُنَافِقٍ لأَحَدٍ، فَقَبَّحَ اللهُ الرَّافِضَّةَ»[٤].

وَكَانَ أبو عبد الله جعفر الصادق –رضي الله عنه– يَغضَبُ مِنَ الرَّافِضَّةِ، وَيَمقُتُهُم إِذَا عَلِمَ أَنَّهُم يَتَعَرَّضُوْنَ لِجَدِّهِ أَبِي بَكْرٍ ظَاهِرًا، وَبَاطِنًا، هَذَا لاَ رَيْبَ فِيْهِ، وَلَكِنَّ الرَّافِضَّةَ قَوْمٌ جَهَلَةٌ، قَدْ هَوَى بِهِمُ الهَوَى فِي الهَاوِيَةِ، فَبُعدًا لَهُم.

---

١ – الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٦/٣٦٤.

٢ – الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٦/٣٦٥.

٣ – الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٦/٣٦٥.

٤ – الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٦/٣٦٥.

لهذا جاء نفرٌ منهم إلى أبي عبد الله جعفر الصادق، فقالوا له: «إنا قد نبزنا نبزًا أثقل ظهورنا، وماتت له أفئدتنا، واستحلت له الولاة دماءنا في حديث رواه لهم فقهاؤهم»، فقال أبو عبد الله: «الرافضة؟»، قالوا: «نعم»، فقال: «لا والله ما هم سموكم.. ولكن الله سماكم به»[١].

فبيَّن –رضي الله عنه– أن الله عزَّ وجلَّ سماهم «الرافضة»، وليس أهل السنة.

ولقد علَّق الذهبي على ذلك بقوله: «فهذه النصوص من جعفر الصادق –رحمه الله– صريحة في محبته للشيخين، وتوليه لهما، وتقربه إلى الله بذلك، كما تدل –أيضًا– على بغضه للشيعة الذين أبغضوا الشيخين، وبراءته ممن تبرأ منهما، أو ادَّعى عصمته هو في نفسه، كما دعا الله بأن يتبرأ ممن تبرأ منهما، وهذا يهدم أصلًا عظيمًا من أصول القوم الذي يعتقدونه في وزيري نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– ومن ثمَّ بقية جماهير صحابة جده –صلى الله عليه وآله وسلم– وأيضًا شهد لهما بالجنة، وأولئك الأباعد يشهدون عليهما بالنار والخلود فيها؛ فقد سئل عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ: «إِنَّكَ تَسْأَلُنِي عَنْ رَجُلَيْنِ، قَدْ أَكَلاَ مِنْ ثِمَارِ الجنة»[٢]، أي: إن أرواحهما في الجنة تغدو، وتروح كما تشاء، وليس وراء ذلك شيء إلا التقية المحضة، وهي النفاق المحض، نعوذ بالله.

---

١ – الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، الأصول في الكافي، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري– نشر دار الكتب الإسلامية– طهران– الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ: ٣٤/٥، وحسين الموسوي، لله ثم للتاريخ: صـ١٨.

٢ – الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣٦٥/٦.

وقد ضاق جعفر الصادق بالشيعة ذرعًا، حتى أنه أظهر شكواه بقوله: «أما والله لو أجد منكم ثلاثة مؤمنين يكتمون حديثي، ما استحللت أن أكتمهم حديثًا»[1].

لقد كان لهؤلاء الشيعة الذين يتشدقون بحبِّ أهل البيت، والدفاع عنهم، ويتمسحون بأعتابهم في كل آنٍ وأوانٍ موقف مخزٍ –إن دلَّ على شيءٍ فإنما يدل على الجبن والخسَّة، وعلى قلوب ملأها النفاق إلى مشاشها– وكانت لهم مع آل النبي –صلى الله عليه وسلم– مواقف يذكرها لهم التاريخ بالعار، والشنار، والذلة، والصغار، وهذه كلمات خرجت من أفواه آل بيت النبي الأطهار، تقول كلمتها الأخيرة فيمن يدعون محبتهم، والدفاع عنهم.

وهذه الكلمات والمواقف التي يرويها التاريخ لنا عن دفاع الشيعة عن آل البيت لهي خير دليلٍ على كذبهم في نصرتهم وموالاتهم لآل البيت، وضلالهم، وانحرافهم عن منهج السنة ، وبُعدهم عن الحق والحقيقة، التي قررها التاريخ، وكلام أئمة أهل البيت أنهم أشد الناس ذمًّا، ومقتًا، وخذلانًا، وخيانة لآل البيت، ونسبتهم تلك العقائد الفاسدة إليهم، وكثرة كذبهم عليهم، وقد تعددت عبارات أهل البيت، وتنوعت في ذم الشيعة، وبراءتهم من عقيدتهم.

ما تبرير المفكرين الشيعة لهذه المواقف السيئة؟ وماذا ذكرت المصادر التاريخية الشيعية؟

الردُّ على ذلك:

١ – الكليني، الأصول من الكافي: ١/٤٩٦، وحسين الموسوي، لله ثم للتاريخ: صـ١٧، وإحسان إلهي ظهير، الشيعة والسنة: صـ٣٠٤.

لم تبرِّر المصادر الشيعية، ولا المفكرين الشيعة هذه المواقف، بل هناك الكثير من المصادر المعتبرة والمعتمدة عند الشيعة تبين وتوضِّح ما هو أسوأ من ذلك من: تعامل الشيعة مع آل البيت، وتهجمهم عليهم، ورميهم بكل نقيصة، والافتراء عليهم كذبًا وزورًا، والتجرؤ عليهم في القول والعمل، وتذمر أهل البيت من شيعتهم ما يؤيد ذلك.

ما ذكره ابن أبي الحديد في كتابه شرح نهج البلاغة، وهو من المحسوبين على المذهب الشيعي، ينقل لنا ما ذكره الإمام علي –رضي الله عنه– وتذمره من أهل العراق شيعته دون ما يوجد لهم مبرر لهذه المواقف، يقول لهم: «يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الاطفال، وعقول ربات الحجال، لوددت أنى لم أرَكُمْ، ولم أعرفكم معرفة – والله – جرت ندمًا، وأعقبت صدما. قاتلكم الله! لقد ملأتم قلبي قيحًا، وشحنتم صدري غيظًا، وجرعتموني نغب التهام أنفاسًا، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان، والخذلان»[١].

وينقل لنا الكليني عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو يتهم شيعة أهل العراق بقوله: «لو ميزت شيعتي لما وجدتهم إلا واصفة ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلا مرتدين، ولو تمحصتهم لما خلص من الألف واحد»[٢].

وعندما نقرأ في كتب الشيعة المعتبرة نجد فيها عجبًا عجابًا، قد لا يصدق أحدنا إذا قلنا: إن كتب الشيعة تطعن في أهل البيت –رضي الله عنهم– ولا أحد يدافع، أو يوجد مبررًا لهذا، فمن ذلك:

١ – ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٧١/٧.

٢ – الكليني: ٣٣٨/٨.

يذكر صاحب كتاب «بحار الأنوار» روايات في أمير المؤمنين علي –رضي الله عنه– هذه بعضها: عن أبي عبد الله –رضي الله عنه– (جعفر الصادق)، قال: «أتي عمر بامرأة قد تعلقت برجل من الأنصار كانت تهواه، فأخذت بيضة وصبن البياض على ثيابها، وبين فخذيها، فقام عليٌّ فنظر بين فخذيها فاتهمها»[1].

ونحن نتساءل: هل ينظر أمير المؤمنين بين فخذي امرأةٍ أجنبية؟ وهل يعقل أن ينقل الإمام الصادق هذا الخبر؟ وهل يقول هذا الكلام رجلٌ أحب أحل البيت؟

ويروي المجلسي خبرًا آخر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–؛ فعن أبي عبد الله جعفر الصادق –عليه السلام– قال: «قامت امرأة شنيعة إلى أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب وهو على المنبر، فقالت: هذا قاتل الأحبة، فنظر إليها، وقال لها: يا سلقع، يا جريئة، يا بذيَّة، يا مذكرة، يا التي لا تحيض كما تحيض النساء، يا التي علي هنِّها شيء بيِّن مدلى»[2].

فهل يتلفظ أمير المؤمنين بمثل هذا الكلام البذئ؟ هل يخاطب امرأة بقوله: «يا التي على هنِّها شيء بيِّن مدلى؟»؟ وهل ينقل الصادق مثل هذا الكلام الباطل؟

لو كانت هذه الروايات في كتب أهل السُّنة لأقامت الشيعة الدنيا، ولم تقعدها، ولفضحت أهل السُّنة شر فضيحةٍ، ولكن للأسف هذه الروايات وغيرها في كتب الشيعة أنفسهم، كما يذكر الكشي –وهو من المؤرخين

---

١ – المجلسي، بحار الأنوار: ٣٠٣/٤٠.

٢ – المجلسي، بحار الأنوار: ٢٩٣/٤١.

الشيعة الموثوق بهم لدى القوم- أنه دخل سفيان بن أبي ليلى -وهو من شيعة أهل البيت- على الحسن بن عليٍّ -رضي الله عنه- وهو في داره، فقال للإمام الحسن: «السلام عليك يا مذل المؤمنين»، قال: «وما علمك بذلك؟»، قال: «عمدت إلى أمر الأمة فخلعته من عنقك، وقلدته هذا الطاغية يحكم بغير ما أنزل الله»[١].

ونحن نتساءل: هل يليق هذا الكلام أن يخرج من فم رجلٍ محبٍّ لأهل البيت؟ وهل كان الحسن بن عليٍّ مذلًا للمؤمنين؟ أم أنه كان معزًّا لهم؛ لأنه حقن دماءهم، ووحَّد صفوفهم بتصرفه الحكيم، ونظره الثاقب؟!

فلو أن الحسن -رضي الله عنه- حارب معاوية -رضي الله عنه- وقاتله على الخلافة لأريق بحر من دماء المسلمين، ولقتل منهم عدد لا يحصيه إلا الله تعالى، ولمزقت الأمة تمزيقًا، ولما قامت لها قائمة.

وللأسف فإن هذا القول ينسب إلى أبي عبد الله جعفر الصادق، ووالله إنه لبرئ من هذا الكلام، وأمثاله.

أما الإمام جعفر الصادق فقد ناله من الشيعة شتى أنواع الأذى، ونسبوا إليه كل قبيحٍ، وهذا موجود في كتبهم، ومرويٌّ عنهم.

يذكر الكشي عن زرارة قال: «سألت أبا عبد الله (جعفر الصادق) عن التشهد... قلت: التحيات والصلوات... فسألته عليه السلام، فقال: كمثله، قال: التحيات والصلوات، فلما خرجت ضرطت في لحيته، وقلت لا يفلح أبدًا»[٢].

---

١ - الكشي، رجال الكشي: صـــ١٠٣.

٢ - الكشي، رجال الكشي: صـــ١٤٢.

ونحن نتساءل: هل هذا يصح أن يقال في حق الإمام أبي عبد الله كلمة قذرةً كهذه تقال في حقه؟ أيضرط في لحيته؟! أم يقال في حق الصادق لا يفلح أبدًا؟!

بل يذكر أحد الكتاب المعاصرين من الشيعة هذه القضية، ويتساءل: كيف مضى على تأليف كتاب مثل كتاب «رجال الكشي» عشرة قرون، وتداولته أيدي علماء الشيعة كلهم على اختلاف فرقهم، فما رأيت أحدًا منهم اعترض على هذا الكلام، وأمثاله، أو أنكره، أو نبَّه عليه بحذفه، أو تبريره، أو الاعتذار عنه في حق أهل البيت.

ثمَّ يقول: «إن قلبي ليعتصر ألمًا وحزنًا، فإن هذا السباب، وهذه الشتائم، وهذه الجرأة، لا يستحقها أهل البيت الكرام»[1].

ويقول أيضًا: «من الممكن اتِّهام الآخرين بمثل هذه التهم، وقد يصدق الناس ذلك، أما اتِّهام أهل البيت -صلوات الله عليهم- فهذا من أشنع ما يكون، وللأسف فإن مصادرنا الشيعية التي تزعم أنها نقلت علم أهل البيت مليئة بمثل هذا الباطل، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

ثمَّ يقول: «لو كانت هذه الروايات في كتب أهل السنة لأقمنا الدنيا ولم نقعدها، ولفضحناهم شرَّ فضيحة، ولكنها في كتبنا نحن الشيعة!».

ثم يقول: «وإذا أردنا أن نعرف تفاصيل أكثر، فعلينا أن نقرأ المصادر المعتبرة عندنا؛ لنعرف ماذا قيل في حق الباقين منهم عليهم السلام؛ ولنعرف كيف قتلت ذرياتهم الطاهرة؟ وأين قتلوا؟ ومن الذين قتلهم؟ ومن

١ - حسين الموسوي، لله ثم للتاريخ، صـــ٢٦، ٢٧.

أراد المزيد من ذلك فعليه بكتاب «مقاتل الطالبين» للأصفهاني؛ فإنه كفيل ببيان ذلك»[١].

١ – حسين الموسوي، لله ثم للتاريخ: صـــ٣٠٠.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، والصلاة والسلام على من ختم الله به النبوات، وعلى آله وصحبه الذين كان ولاؤهم، وتشيعهم لمحمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم- وللحق الذي جاء به، وكانوا بنعمة الله إخوانًا في جميع الأوقات.

وبعد

بدأت هذا البحث مستعينًا بالله -سبحانه وتعالى- مستلهمًا منه الهدى، والرشاد؛ طلبًا منه التوفيق والسداد ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾، وفي خاتمة هذا البحث أحبُّ أن أبرز بعض الحقائق الموضوعية، المتمثلة فيما وفقني الله -سبحانه وتعالى- إلى الوصول إليه من نتائج:

- مفهوم «الشيعة» مرَّ بمراحل مختلفة.
- التشيُّع بدأ كمذهب سياسيٍّ، سرعان ما تحوَّل إلى مذهب عقدي.
- حبُّ الشيعة لآل البيت وهمٌ يجافي الحقيقة.
- دفاع الشيعة عن آل البيت، ونصرتهم ادِّعاء تدحضه الأحداث التاريخية.
- تبرأ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وذريته، ومللهم، وضجرهم، من شيعتهم أهل الكوفة؛ لغدرهم، ومكرهم، وتخاذلهم.
- اعتراف الشيعة أنفسهم بالتخاذل عن الدفاع عن آل البيت.
- تخاذل أهل الكوفة وغدرهم تسبب في سفك دماء أهل البيت، واستباحة حرماتهم.
- إن أهل البيت -رضي الله عنهم جميعًا- يحمِّلون شيعتهم مسئولية قتل الحسين -رضي الله عنه- ومن معه، وقد اعترف أحدهم برده

على فاطمة الصغرى بأنهم هم الذين قتلوا عليًّا، وبنيه، وسبَوْا نساءهم كما ذكرنا ذلك.

- إن أهل البيت –رضي الله عنهم– دعَوْا على شيعتهم، ووصفوهم بأنهم طواغيت هذه الأمة، وبقية الأحزاب، ونبذة الكتاب، ثم زادوا على ذلك بقولهم: «ألا لعنة الله على الظالمين».

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

- **ابن أبو الحديد:** عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (المتوفى: ٦٥٦هـ): شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- **ابن الأثير:** أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ= ١٩٩٧م.
- **ابن الأثير:** مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ): النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م.
- **ابن العربي:** القاضي أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ) العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلمن حققه وعلق على حواشيه: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الخامسة ١٣٩٩ه.
- **ابن تيمية:** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ): منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م.

- **ابن حجر:** أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ): فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مراجعة: عبد العزيز بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، طبع دار الحديث، القاهرة ١٤٢٤هـ.
- **ابن حزم:** أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (المتوفى: ٤٥٦هـ):

١- جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤ه.

٢- الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحَل، دار الكتب العلمية- بيروت.

- **ابن خلدون:** عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- **ابن خلكان:** أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ): وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.
- **ابن خياط:** أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (المتوفى: ٢٤٠هـ): تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة- دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٧هـ.
- **ابن سعد:** أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي المعروف بابن سعد(المتوفى: ٢٣٠هـ):

١- الطبقات الكبرى، (الجزء المتمم لطبقات ابن سعد، الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أحداث الأسنان)، تحقيق: محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق- الطائف، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

٢- الطبقات الكبرى، ط دار صادر- بيروت.

- **ابن عساكر:** أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ): تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م.
- **ابن العماد الحنبلي:** أبو الفرج عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م.
- **ابن قتيبة،** أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، الإمامة والسياسة، تحقيق: د/ طه محمد الزيني، طبع مؤسسة الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ= ١٩٦٧م.
- **ابن قدامة المقدسي:** لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، دار الكوثر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.
- **ابن كثير:** الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ):

  ١- البداية والنهاية، حققه ودقَّق أصوله، وعلق على حواشيه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م.

  ٢- تفسير القرآن العظيم، مكتبة التراث الإسلامي، سوريا، حلب ١٤٠٠هـ= ١٩٨٠م.
- **ابن منظور:** محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر- بيروت، الطبعة: الأولى.
- **أبو نعيم الأصبهاني** (ت ٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ضبط وخرج أحاديثه: سامي أنور جاهين، طبع دار الحديث- القاهرة: ١٤٣٠هـ.

- **الأشعري**: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ): مقالات الإسلاميِّين واختلاف المصلين، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.
- **البغدادي**: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الإسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ): الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة– بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م.
- **البلاذُرِي**: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ): جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، ورياض الزركلي، دار الفكر– بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ= ١٩٩٦م.
- **الدينوري**: أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢هـ): الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: د/ جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م.
- **الدهلوي**: شاه عبد العزيز غلام حكيم: مختصر التحفة الاثنى عشرية، نقله من الفارسية إلى العربية سنة ١٢٢٧هـ: الشيخ الحافظ غلام محمد بن محيي الدين بن عمر الأسلمي، اختصره وهذبه سنة ١٣٠١هـ: علامة العراق محمود شكري الألوسي، حققه وعلق حواشيه: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية القاهرة، ١٣٧٣هـ.
- **الذهبي**: الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ= ١٣٧٤م):
  ١- سير أعلام النبلاء، اشرف على تحقيق الكتاب، وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م.

٢- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ= ١٩٦٣م.

- **الزبيدي:** محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- **السيوطي:** جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة، مصر ١٩٧٥م.
- **الشهرستاني:** أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ): الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة- بيروت، ١٤٠٤هـ.
- **الطبرسي:** أحمد بن علي بن أبي طالب، عاش في القرن السادس الهجري، الاحتجاج، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت، ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م.
- **الطبري:** أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٣٨٤هـ= ١٩٦٥م.
- **الطحاوي:** الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ت: أحمد علي، طبع دار الحديث بالقاهرة ١٤٢٥ه.
- **الكشي:** أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي: رجال الكشي، قدم له وعلق عليه: أحمد السيد الحسيني، مؤسسة الأعلمي، العراق.
- **الكليني:** أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي: الأصول من الكافي، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ.

- **المجلسي**: محمد باقر بن محمد بن تقي بن مقصود (ت ١١١٠هـ): بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء- بيروت، لبنان ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.
- **المسعودي**: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة- بيروت ١٤٠٢هـ.
- **النوبختي**: الحسن بن موسى النوبختي: فرق الشيعة، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٤ه= ١٩٨٤م.
- **النووي**: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ):
  ١- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، طبع مكتبة شباب الأزهر، علق عليه: رضوان محمد رضوان.
  ٢- شرح صحيح مسلم، المطبعة المصرية.
- **اليعقوبي**: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، طبع بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ= ١٩٨٠م.

ثانياً: المراجع:

- **إبراهيم بن عامر بن علي الرحيلي**: الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٣م.
- **إحسان إلهي ظهير الباكستاني** (المتوفى: ١٤٠٧هـ): ، الشيعة والسنة، نشر إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، الطبعة الثالثة، ١٣٩٤هـ.
- **حسن محمد أيوب**، تبسيط العقائد الإسلامية، دار الندوة الجديدة، بيروت- لبنان، الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.

- **حسين الموسوي من علماء النجف:** لله ثم للتاريخ كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار، طبع دار ابن الجوزي- القاهرة ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٧م.
- **عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر:** فضل أهل البيت وعلوّ مكانتهم عند أهل السنة والجماعة، دار ابن الأثير، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م.
- **عثمان بن محمد الخميس:** حقبة من التاريخ، مصر- الإسماعيلية، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ.
- **عماد علي عبد السميع حسين،** خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية.
- **القفاري:** ناصر بن عبد الله علي القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية عرض ونقد، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- **الكاندهلوي:** محمد بن يوسف: حياة الصحابة، مكتبة الدعوة الإسلامية، القاهرة.
- **محمد أبو زهرة،** الإمام زيد، دار الفكر العربي- القاهرة.
- **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة،** دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ= ١٩٨٩م.
- **نخبة من العلماء:** أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، دار البصيرة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.

فهرس الموضوعات